يون جابريال بوركمان
مسرحية لهنريك إبسن

ترجمة: شرين عبد الوهاب وأمل رواش

مراجعة: د. سامية لويس ، د. إيمان عز الدين، انجيارد يوسف، د. عصام عبد العزيز

يون جابريال بوركمان

مسرحية من أربعة فصول
هنريك إبسن

KØBENHAVN
GYLDENDALSKE BOGHANDELS FORLAG (F. HEGEL & SØN)
GRÆBES BOGTRYKKERI
1896

JOHN GABRIEL BORKMAN (1896)

الشخصيات
يون جابريل بوركمان، مدير بنك.
السيدة جونهيلد بوركمان، زوجته
الطالب إيرهارت بوركمان، ابن السيد بوركمان
الآنسة إيللا رينتهايم، شقيقة السيدة بوركمان التوأم.
السيدة فاني ويلتون.
فيلهالم فولدال، كاتب في مكتب حكومي.
فريدة فولدال، ابنته.
خادمة السيدة بوركمان .

تجري الأحداث في ليلة شتاء في مزرعة آل رينتهايم، خارج العاصمة.

الفصل الأول

(غرفة معيشة السيدة بوركمان، أثاثها من طراز قديم . هناك باب جرار يفضي إلى شرفة زجاجية تطل على حديقة يبدو أنها تتعرض لعاصفة ثلجية مع غروب الشمس الآفلة. وبالجدار الأيمن باب يفضي إلى غرفة المعيشة. في المقدمة مدفأة كبيرة قديمة من الحديد نيرانها مستعرة .إلى اليسار نحو الخلف قليلا باب أصغر، وفي المقدمة في نفس الجانب نافذة مغطاة بستار سميك. بين النافذة والباب أريكة مكسوة بنسيج من شعر الخيل وأمامها منضدة مغطاة بمفرش سميك من الطراز القديم عليها مصباح مضيء. وأمام المدفأة كرسي بذراعين ظهره مرتفع.)

(تجلس السيدة جونهيلد بوركمان على الأريكة تشتغل الكروشيه. وهي سيدة عجوز ذات مظهر بارد وأنيق. حركتها متيبسة وملامح وجهها جامدة وقد خط الشيب شعرها الكث، يداها جميلتان ورقيقتان وترتدي ثوبا من الحرير الغامق اللون يوشي بأنه كان في الماضي ثوبا أنيقا أما الآن فيبدو باليا، وتضع على كتفيها شالا من الصوف.)

(تجلس السيدة بوركمان لبعض الوقت منتصبة دون أن تتحرك وبجوارها الكروشيه ثم يُسمع بالخارج جرس عربة عابرة. تنصت)

السيدة بوركمان: (تنصت، وعينيها تلمعان من السعادة وتهمس بشكل لا إرادي) إيرهارت! أخيرا!

(ثم تنهض وتنظر من خلف الستار ويبدو عليها خيبة أمل، فتجلس على الأريكة مرة أخرى وبجوارها الكروشيه، تدخل الخادمة من البهو تحمل بطاقة على صينية صغيرة.)

السيدة بوركمان: (بسرعة) هل وصل الطالب؟

الخادمة : لا، يا سيدتي. ولكن هناك سيدة غريبة....

السيدة بوركمان:(تتناول البطاقة) دعيني أرى. (تنهض بسرعة وتنظر للخادمة بحدة) هل أنتِ متأكدة أن هذه البطاقة من أجلي.

الخادمة: نعم، هذا ما فهمته. إنا لكِ يا سيدتي.

السيدة بوركمان: هل طلبتْ أن تتحدث مع السيدة بوركمان؟

الخادمة: نعم، فعلت .

السيدة بوركمان: (باقتضاب، وبإصرار) حسن. قولي لها إنني هنا.

(تفتح الخادمة الباب للسيدة الغريبة وتخرج. تدخل الآنسة إيللا رينتهايم غرفة المعيشة، وهي تشبه شقيقتها إلا أن تعبيرات وجهها تنم عن معاناة و يشي مظهرها بأنها كانت تتمتع بجمال خاص في شبابها، وقد سرحت شعرها المتموج الأشيب الفضي بشكل طبيعي فانسدل على جبهتها. ترتدي ثوب ثوبا من المخمل الأسود و قبعة ومعطفا مبطنا بالفرو ومن نفس النسيج.)

(تقف الشقيقتان في صمت لبعض الوقت وهما تحدقان في بعضهما البعض. ويبدو أن كلتيهما تنتظر من الأخرى أن تبادر بالحديث.)

إيللا رينتهايم: (التي ظلت واقفة بالقرب من الباب) يبدو عليكِ الدهشة لرؤيتي، يا جونهيلد.

السيدة بوركمان :(تقف بين الأريكة والمنضدة، وتستند بأطراف أصابعها على المفرش) لقد أخطأت طريقك بالحضور إلى هنا. إن ناظر المزرعة في المبنى المجاور لنا، كما تعلمين.

إيللا رينتهايم: ليس ناظر المزرعة من أريد أن أتحدث معه اليوم.

السيدة بوركمان: هل تريدين مقابلتي أنا؟

إيللا رينتهايم: نعم. أريد أن أتحدث معك قليلا.

السيدة بوركمان:(تتقدم للأمام) حسن ..... اجلسي.

إيللا رينتهايم: أشكرك، ولكنني سأظل واقفة.

السيدة بوركمان: كما تشائين. ولكن على الأقل افتحي معطفك .

إيللا رينتهايم: نعم. (تفك أزرار معطفها) إن الجو هنا حار جدا.....

السيدة بوركمان: لكنني أشعر دائما بالبرودة.

إيللا رينتهايم: (تظل واقفة وقد أسندت ذراعيها على ظهر مقعد ذو ذراعين وتنظر إليها لبرهة) حسن... لقد مرت ثماني سنوات منذ أن تقابلنا آخر مرة يا جونهيلد .

السيدة بوركمان:(ببرود) منذ أن تحدثنا آخر مرة.

إيللا رينتهايم: نعم، منذ أن تحدثنا آخر مرة ..... فقد كنتِ ترينني أحيانا ... عندما كنت أتي كل عام لمقابلة ناظر المزرعة.

السيدة بوركمان: مرة أو مرتين على ما أظن.

إيللا رينتهايم: إنني لمحتك أكثر من مرة، هناك، من النافذة.

السيدة بوركمان: لابد أنك رأيتيني من وراء الستائر المنسدلة، فعينيك نافذتين. (بقسوة وبحزم) وآخر مرة تحدثنا فيها سويا ... كانت هنا في غرفة المعيشة....

إيللا رينتهايم: (تقاطعها) نعم، نعم .إنني أعرف يا جونهيلد!

السيدة بوركمان: .... في الأسبوع الذي سبق ... سبق الإفراج عنه.

إيللا رينتهايم: (تمشي عبر الغرفة) أوه، لا تتحدثي في هذا الأمر.

السيدة بوركمان:(بحزم، ولكن بصوت منخفض) كان ذلك في الأسبوع الذي سبق.....خروج مدير البنك من السجن.

إيللا رينتهايم: (تتقدم للأمام) أوه، نعم، نعم، نعم! لن أنسى هذه الفترة أبدا! بالرغم من أن التفكير فيها محزن للغاية! مجرد التفكير فيها للحظة... أوه!

السيدة بوركمان: (بكآبة) ومع ذلك ليس هناك مجال للعقل كي يفكر في شيء آخر. (بانفعال وتعقد يديها) لا، أنا لا أفهم. لا يمكنني! لا يمكنني أن أفهم، أن شيئا كهذا..... شيئا بهذه البشاعة يمكن أن يحدث لأسرة بسيطة! تخيلي .... أسرتنا نحن! أسرة محل احترام كأسرتنا! تخيلي أن شيئا كهذا يحل بأسرتنا نحن بالذات!

إيللا رينتهايم: أوه، يا جونهيلد ... لقد حل ذلك بكثير من الأسر بخلاف أسرتنا.

السيدة بوركمان: نعم، ولكني لا أعبأ بما حدث لكل هؤلاء الناس . فالأمر بالنسبة لهم لم يتجاوز خسارة بعض الأموال... أو السندات لا أكثر، أما بالنسبة لنا....! بالنسبة لي أنا! وبالنسبة لإيرهارت بعد ذلك !الذي كان طفلا في ذلك الحين!(بغضب أشد) العار الذي لحق بنا نحن الاثنين! نحن البريئان البريئين ! العار! العار!

إيللا رينتهايم:(بحذر) خبريني يا جونهيلد، كيف تقبل الأمر؟

السيدة بوركمان: هل تقصدين إيرهارت؟

إيللا رينتهايم: لا... بوركمان نفسه. كيف تقبل الأمر؟

السيدة بوركمان: (تتأفف بازدراء) هل تعتقدين أن سؤاله عن ذلك يعنيني؟

إيللا رينتهايم: سؤاله؟ لستِ في حاجة بالتأكيد لأن تسألي....

السيدة بوركمان:(تنظر إليها في دهشة) بالتأكيد أنتِ لا تفترضين أنني أتواجد معه؟ أجلس معه؟ أو أراه؟

إيللا رينتهايم: ولا هذا أيضا!

السيدة بوركمان:(بنفس اللهجة) هو من ظل في السجن خمس سنوات! (تغطي وجهها بيدها) أوه، يا له من عار ساحق! (بانفعال) تخيلي ما كان يعنيه اسم يون جابريال بوركمان في الماضي !.... لا، لا، لا ...لا أريد أن أراه مرة أخرى!.... أبدا!

إيللا رينتهايم :(تنظر إليها للحظة) إن قلبك قاسي يا جونهيلد .

السيدة بوركمان: قاسي معه، نعم .

إيللا رينتهايم: ومع ذلك هو لا يزال زوجك.

السيدة بوركمان: ألم يقل في المحكمة أنه أنا من جلبت له الخراب؟ وأنني أسرفت في إنفاق المال ...؟

إيللا رينتهايم:(بحذر) ولكن أليس في ذلك شيء من الحقيقة؟

السيدة بوركمان: هو نفسه الذي أراد أن تكون حياتنا هكذا! أن يكون كل شيء فخم فخما وبلا معنى....

إيللا رينتهايم: أعلم ذلك. ولهذا كان عليك أنتِ كبح جماحه ولكنك لم تفعلي.

السيدة بوركمان: وهل كنت أعرف أن الأموال التي كان يعطيني إياها .... ليست أمواله؟ هو نفسه كان ينفق منها أكثر مني عشرات المرات!

إيللا رينتهايم: (بهدوء) لا بأس، هذا كان بسبب مركزه على ما أظن.....؟ إلى حد ما.

السيدة بوركمان: (بازدراء) نعم، كان لابد أن نعيش على مستوى "مشرف" وكان بالفعل مشرفا مشرف! كان ينفق ببذخ كما لو كان ملكا. وكان الناس ينحنون له ويتقربون منه إليه كما لو كان ملكا. وكانوا ينادونه باسمه الأول .... في كل أنحاء البلاد.... كما لو كان هو الملك بذاته "يون جابريال"، "يون جابريال"، "يون جابريال". كل واحد كان يعرف مكانة "يون جابريال!"

إيللا رينتهايم:(بحزم وبدفء) حقا كان يتمتع بمكانة عظيمة في ذاك الوقت.

السيدة بوركمان: نعم، كان يبدو ذلك، لكنه لم يقل كلمة واحدة عن مركزه المالي ..... ولم يطلعني على مصادر أمواله!

إيللا رينتهايم: لا، لا... ولا حتى الآخرون.

السيدة بوركمان: لا يعنيني الآخرون . بل كان من واجبه أن يخبرني بالحقيقة. وهو ما لم يفعله أبدا! لقد ظل يكذب ..... ويكذب علي الدوام.....

إيللا رينتهايم: (تقاطعها) إنه لم يفعل. لا، يا جونهيلد! حقا لعله لم يخبرك... لكنه لم يكذب.

السيدة بوركمان: حسن، حسن. سمها كما تشائين لأن لكن النتيجة واحدة... فبعدها إنهار كل شيء...كل شيء، كل أمجاده تلاشت.

إيللا رينتهايم:(لنفسها) أجل ،لقد انهار كل شيء.... بالنسبة له.... وبالنسبة للآخرين .

السيدة بوركمان:(تعتدل بقوة) غير أنني أقول لكِ يا إيللا.... أنا لم أيأس بعد! سوف أجد خلاصي مرة ثانية. ثقي في ذلك!

إيللا رينتهايم:(بإثارة) خلاصك! ماذا تقصدين؟

السيدة بوركمان: خلاص اسمي، وكرامتي وشرفي، وثروتي! خلاص حياتي التي تحطمت كلها. هذا ما قصدته! إنني أمسك بشيء... شيء سيطهر كل شيء.... لطخه مدير البنك.

إيللا رينتهايم: يا جونهيلد! يا جونهيلد!

السيدة بوركمان: (بانفعال متزايد) هناك من سينتقم! إنه شخص سوف يصلح كل ما ارتكبه أبوه في حقي!

إيللا رينتهايم: إيرهارت؟

السيدة بوركمان: نعم، إيرهارت.... ولدي الرائع! سوف يُخلص العائلة، المنزل، الاسم. كل ما يمكن خلاصه.... وربما أكثر من ذلك.

إيللا رينتهايم: أوه، وكيف سيفعل ذلك في ظنك؟

السيدة بوركمان: سيفعل؛ ولا أعرف كيف. إلا أنني أعرف أن ذلك سوف يحدث في يوم ما.(تنظر إليها متسائلة) نعم... يا إيللا؛ ....أليس هذا ما كنت تفكرين فيه أيضا منذ أن كان طفلا؟

إيللا رينتهايم: لا أستطيع أن أقول ذلك.

السيدة بوركمان: لا تستطيعين؟ إذن لماذا قمتِ برعايته؟ عندما اجتاحت العاصفة.... هذا البيت.

إيللا رينتهايم: حينها لم يكن في مقدورك القيام برعايته.

السيدة بوركمان: بلى. لم يكن في مقدوري، أما بالنسبة لأبيه.... فقد كان لديه عذرا قانونيا ... عندما كان.... في السجن.

إيللا رينتهايم :(بغضب) أوه، كيف يمكنك أن تقولي مثل هذا الكلام....!أنتِ!

السيدة بوركمان: وأمكنك أن تتحاملي على نفسك وتعتني ب ..... بابن يون جابريال! كما لو كان طفلك تماما..... تأخذينه مني وترحلين به إلى منزلك. لقد احتفظتِ به في بيتك هناك عاما بعد عام، حتى أصبح الطفل شابا. (تتفحصها في شك) لماذا فعلتِ ذلك، يا إيللا؟ لماذا احتفظتِ به؟

إيللا رينتهايم: لأنني تعلقت به جدا....

السيدة بوركمان: أكثر مني أنا... أنا أمه؟!

إيللا رينتهايم: (تتهرب) لا أدري. ثم إن إيرهارت كان ضعيفا و صغيرا...ا.

السيدة بوركمان: إيرهارت ...ضعيف!

إيللا رينتهايم: نعم، كنت أرى ذلك... حينذاك على الأقل. ثم أن الجو هناك ألطف وأقل برودة من هنا، كما تعلمين.

السيدة بوركمان: (تضحك بمرارة) ها ها.... أحقا ؟ (تتوقف ثم تواصل) نعم، أنتِ أنجزت مهمة العناية بإيرهارت على أكمل وجه. إنك فعلتِ الكثير من أجل إيرهارت.(تغير لهجتها) وهذا مفهوم بالطبع، لأنك كنت تملكين الإمكانيات المادية. (تبتسم) لقد كنتِ محظوظة يا إيللا. وكما ترين، فقد استطعتِ استرداد كل ما تملكين.

إيللا رينتهايم: (تشعر بالإهانة) أنا لم أفعل أي شيء.... في سبيل ذلك.... أؤكد لكِ. لم تكن لدي أية فكرة..... لم أعلم إلا بعدها بوقت طويل جدا..... لم أكن أعلم أن الودائع التي بالبنك مسجلة باسمي... وتم ادخارهم....

السيدة بوركمان: حسن، حسن. أنا لا أفهم هذه الأمور! لم أقل سوى أنكِ كنتِ محظوظة. (تنظر إليها متسائلة) ولكن لماذا قررتِ أن تربي إيرهارت بدلا مني.....؟ ماذا كان هدفك؟

إيللا رينتهايم: (تنظر إليها) هدفي...؟

السيدة بوركمان: نعم، مؤكد كان لديكِ هدفا هدف بالطبع. ماذا كنت تريدين أن تجعلي منه؟ أو ماذا كنت تريدينه أن يكون، هذا ما أقصده؟

إيللا رينتهايم: (بلطف) أردت أن أمهد الطريق لإيرهارت كي يعيش سعيدا في هذا العالم.

السيدة بوركمان: (تتأفف) أوف... إن من يمر بظروف كظروفنا يكون لديه ما هو أهم من السعادة.

إيللا رينتهايم: ماذا تقصدين ...ماذا؟

السيدة بوركمان:(تنظر إليها بثبات وجدية) على إيرهارت أن يأتي إلى النور أولا حتى لا يكون بوسع أحد أن يرى الظلال التي ألقى بها أبوه علي..... وعلى ابنه.

إيللا رينتهايم: (تتفحصها) أخبريني يا جونهيلد... هل هذا مطلب إيرهارت نفسه....؟

السيدة بوركمان:(باستغراب) نعم، أتمنى ذلك!

إيللا رينتهايم:... أم هو مطلبك أنتِ منه؟

السيدة بوركمان:(باقتضاب) أنا و إيرهارت ننشد لأنفسنا نفس المطالب دائما.

إيللا رينتهايم: (بحزن وببطء) لهذه الدرجة أنت واثقة من ابنك يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: (بانتصار تحاول إخفائه) نعم، الحمد لله....أنا بالفعل واثقة منه. ثقي أنتِ في ذلك!

إيللا رينتهايم: يبدو لي إذن أنك لابد أن تكوني سعيدة حقا رغم كل الأحداث الأخرى.

السيدة بوركمان: أنا بالفعل كذلك، ولكن كل ما حدث أجده..... يجتاحني بعنف.... كل لحظة.

إيللا رينتهايم: (تغير لهجتها) اخبريني حالا.....لأن هذا هو ما جئتِ هنا من أجله...

السيدة بوركمان: وما هو؟

إيللا رينتهايم: إنه أمر أشعر أنه ينبغي أن أحدثك بشأنه ...قولي لي... إيرهارت لا يعيش هنا... هنا معكم؟

السيدة بوركمان: (بعنف) لا ينبغي أن يعيش إيرهارت هنا عندي إذ لابد أن يعيش في المدينة....

إيللا رينتهايم: وهذا ما كتبه لي.

السيدة بوركمان: لابد أن يعيش هناك من أجل دراسته.... ورغم ذلك فهو يحضر كل ليلة كي يراني ويقضي معي بعض الوقت.

إيللا رينتهايم: حسن، هل بوسعي أن أراه وأتكلم معه الآن؟

السيدة بوركمان: إنه لم يحضر بعد، إلا أنني أنتظر مجيئه في أية لحظة.

إيللا رينتهايم: لا يا جونهيلد... لابد أنه حضر. فأنا أسمع وقع خطواته فوق بالطابق العلوي.

السيدة بوركمان: (تنظر نظرة خاطفة نحو الطابق العلوي) أتقصدين في القاعة بالأعلى؟

إيللا رينتهايم: نعم. إنني أسمع وقع أقدامه هناك منذ أن وصلت.

السيدة بوركمان: (تشيح بوجهها) ليس هو يا إيللا.

إيللا رينتهايم: (باستغراب) ليس إيرهارت؟ من غيره؟ من هو إذن!؟

السيدة بوركمان: مدير البنك.

إيللا رينتهايم: (بصوت منخفض وبألم مكتوم) بوركمان. يون جابريال بوركمان؟

السيدة بوركمان: إنه يظل يسير هكذا. إنه يروح ويجيء....من الصباح حتى المساء....ويوما وراء يوم.

إيللا رينتهايم: أنا سمعت بالفعل أقاويل.....

السيدة بوركمان: مؤكد. هناك كثير من الأقاويل عنا هنا.

إيللا رينتهايم: إن إيرهارت هو من لمّح لي عن الأمر في خطاباته. قال لي أن والده يجلس معظم الوقت بمفرده .... هناك بالأعلى. وأنك تجلسين هنا وحدك.

السيدة بوركمان: نعم....هذه حياتنا يا إيللا منذ اللحظة التي خرج فيها من السجن وأرسلوه لي هنا في البيت..... منذ ثمانية سنوات طوال.

إيللا رينتهايم: وهل من الممكن أن يظل الوضع كذلك ...!؟

السيدة بوركمان:(تومئ) ولكنني لم أتوقع أبدا أن يكون ذلك صحيح ، وأن يكون ذلك ممكنا.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها) ولكنها حياة بشعة يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: أكثر من بشعة. ولا يمكن احتمالها أكثر من ذلك.

إيللا رينتهايم: يمكنني أن أتفهم هذا.

السيدة بوركمان: إنني أسمع خطواته هناك فوق على الدوام، منذ الصباح الباكر وحتى ساعة متأخرة من الليل.... وأي صوت يمكن سماع صداه من هنا!

إيللا رينتهايم: نعم، بالفعل. أي صوت يمكن سماع صداه من هنا.

السيدة بوركمان: كم من مرة أتخيل وكأن لدي ذئب مريض يمشي في قفص هناك في القاعة فوق، فوق رأسي مباشرة. (تنصت وتهمس) اسمعي! يروح ويجيء....الذئب يروح ويجيء.

إيللا رينتهايم:(بحذر) ألا يمكن تغير هذا الوضع يا جونهيلد؟

السيدة بوركمان:(رافضة) إنه لم يحاول أن يغير أي شيء.

إيللا رينتهايم: ألم يكن في مقدورك أن تتخذي أنتِ الخطوة الأولي؟

السيدة بوركمان: (بانفعال) أنا! بعد كل ما اقترفه في حقي!...لا شكرا! إنني لأفضل أن أترك الذئب يروح ويجيء فوق هناك.

إيللا رينتهايم: إن الجو حار هنا. أتسمحين لي بخلع معطفي؟

السيدة بوركمان: نعم، لقد طلبت منك ذلك من قبل.....

(تضع إيللا رينتهايم قبعتها ومعطفها على المقعد بجوار المدخل الرئيسي.)

إيللا رينتهايم: ألم يحدث أن قابلتيه خارج المنزل؟

السيدة بوركمان: (تضحك بمرارة)... أتقصدين في الحفلات ؟

إيللا رينتهايم: أقصد عندما يخرج لاستنشاق بعض من الهواء الطلق أو في طرقات الغابة ...

السيدة بوركمان: إن المدير البنك لا يخرج أبد.

إيللا رينتهايم: ولا حتى ليلا؟

السيدة بوركمان: أبدا.

إيللا رينتهايم: (بتأثر) أه.. ألا يستطيع أن يفعل ذلك؟

السيدة بوركمان: بالفعل لا يستطيع. إن معطفه الكبير وقبعته المصنوعة من الفرو معلقان في الخزانة، في المدخل كما تعلمين....

إيللا رينتهايم: (تنظر أمامها) الخزانة التي كنا نختبئ بها ونحن أطفال...

السيدة بوركمان: (تومئ) ويحدث بين الحين والآخر.... في وقت متأخر من المساء.....أن أسمعه وهو يهبط الدرج...ويتناول معطفه كي يخرج إلا أنه يتوقف على الدرج ويصعد إلى القاعة مرة أخرى.

إيللا رينتهايم:(بهدوء) ألا يحضر لزيارته أي من أصدقائه القدامى؟

السيدة بوركمان: لم يعد لديه أصدقاء قدامى.

إيللا رينتهايم: كان لديه الكثير منهم ذات يوم.

السيدة بوركمان: همم! لقد استطاع التخلص منهم جميعا لأنه أصبح صديقا مُكلفا بالنسبة أصدقائه.... إنه يون جابريال.

إيللا رينتهايم: نعم، ربما تكوني محقة يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: (بحماس) أرى أن ما صدر منهم أمر لا يليق، بل كانت حقارة، وخسة، ونذالة أن يضعوا في اعتبارهم الخسارة البسيطة التي تسبب فيها لأنها لم تكن سوى خسارة مادية فحسب.

إيللا رينتهايم:(لا تجيب) وهو يعيش إذن هناك بالأعلى وحيدا تماما. وحيدا تماما.

السيدة بوركمان: نعم، بالفعل. وأحيانا أشعر أن هناك موظفا عجوزًا بيصعد له فوق.

إيللا رينتهايم: نعم، بالفعل. إنه رجل يدعى فولدال. أنا أعرف أنهما كانا صديقين منذ الشباب.

السيدة بوركمان: نعم، كانا كذلك على ما أعتقد. أنا لا أعرفه، فهو لم يكن من دائرة أصدقائنا ولم يكن يحضر حفلاتنا. وحاليا لم يبق منهم أحد....

إيللا رينتهايم: وهل يأتي الآن إذن كي يرى بوركمان؟

السيدة بوركمان: نعم، لا ينبغي على بوركمان أن يتوقع أكثر من ذلك. ومن الطبيعي أن يحضر لزيارته تحت جنح الظلام.

إيللا رينتهايم: وفولدال هذا... هل كان من هؤلاء الذين خسروا بعد أن أفلس البنك؟

السيدة بوركمان: (بلا اكتراث) نعم، أتذكر أنه خسر بعض أمواله ولكنه مبلغ لا يذكر.

إيللا رينتهايم:(مؤكدة) ولكنه كان كل ما يملك.

السيدة بوركمان: (تبتسم) فعلا، ولكن يا الله!..... ما يملكه كان مبلغا تافها لا يذكر.

إيللا رينتهايم: ولم يذكره أحد ... ولا حتى فولدال نفسه... أثناء التحقيقات.

السيدة بوركمان: على أية حال بوسعي أن أؤكد لك أن إيرهارت قد قام بتعويضه تعويضا يفوق مبلغه الزهيد بكثير.

إيللا رينتهايم:(باستغراب) إيرهارت! وكيف أستطاع أن يعوضه؟

السيدة بوركمان: لقد اعتنى بأصغر بنات فولدال وقام بتعليمها .....حتى يكون لها شأن في المستقبل، وتتحمل مسئولية نفسها في يوم من الأيام. أرايتِ؟ .....إن هذا يفوق ما يمكن لأبيها أن يفعله لأجلها بكثير.

إيللا رينتهايم: نعم، لأن وضع والدها المادي سيء على ما أظن.

السيدة بوركمان: كما رتب لها إيرهارت دروسا في الموسيقى. ولقد أصبحت متمكنة جدا لدرجة أن بإمكانها الصعود فوق في القاعة....والعزف له.

إيللا رينتهايم: إنه مازال مغرما بالموسيقى إذن؟

السيدة بوركمان: أوه، فعلا. إنه مازال يحتفظ بالبيانو الذي أرسلتيه إلى هنا.... عندما كان منتظرا....

إيللا رينتهايم: وهل تعزف له علي البيانو؟

السيدة بوركمان: أه، أحيانا. في المساء. وكان هذا أيضا من تدبير إيرهارت.

إيللا رينتهايم: ولكن هل تضطر هذه الفتاة المسكينة أن تقطع هذه المسافة؟ ثم تعود لبيتها مرة أخرى في المدينة؟

السيدة بوركمان: لا، ليست في حاجة لذلك. لقد دبر لها إيرهارت أمر البقاء مع سيدة تعيش قريبا من هنا. إنها السيدة ويلتون....

إيللا رينتهايم:(باهتمام) السيدة ويلتون؟!

السيدة بوركمان: إنها سيدة غنية جدا. أنتِ لا تعرفينها .

إيللا رينتهايم: لقد سمعت اسمها. السيدة فاني ويلتون.

السيدة بوركمان: نعم، صحيح.

إيللا رينتهايم: لقد كتب لي إيرهارت كثيرا عنها. هل تقيم هنا الآن؟

السيدة بوركمان: نعم، استأجرت فيلا هنا وانتقلت من المدينة منذ فترة.

إيللا رينتهايم: (بشيء من التردد) يقول الناس أنها طُلقت من زوجها.

السيدة بوركمان: زوجها مات منذ عدة سنوات.

إيللا رينتهايم: نعم، ولكنهما كانا مطلقين..... هو طلقها.

السيدة بوركمان: إنه تركها وسافر، هذا ما فعله. من المؤكد أن ذلك لم يكن ذنبها.

إيللا رينتهايم: هل تعرفينها يا جونهيلد؟

السيدة بوركمان: أه، بالطبع. أعرفها جيدا. فهي تسكن بالقرب منا. وتمر علي هنا في بعض الأحيان.

إيللا رينتهايم: وهل تحبينها؟

السيدة بوركمان: إنها متفهمة جدا. وتحكم على الأمور أحكاما قاطعة.

إيللا رينتهايم: أتقصدين حكمها على الناس؟

السيدة بوركمان: نعم، على الأخص حكمها على الناس. إنها درست شخصية إيرهارت جيدا، دراسة حقيقة ... حتى وصلت إلى أعماق روحه. ولذلك فهي تعبده...وهذا طبيعي.

إيللا رينتهايم: (بمكر) إذن فهي تعرف إيرهارت أكثر منك.

السيدة بوركمان: نعم، كان إيرهارت يقابلها كثيرا في المدينة قبل أن تنتقل إلى هنا.

إيللا رينتهايم:(بشيء من التردد) ومع ذلك انتقلت من المدينة؟

السيدة بوركمان: (ترمقها بنظرة حادة) ومع ذلك؟ ماذا تقصدين؟

إيللا رينتهايم:(وهي تراوغ) يا الله....أقصد...؟

السيدة بوركمان: لقد قلتيها بطريقة غريبة. كأنك كنت تلمحين إلى شيء يا إيللا!

إيللا رينتهايم:(تنظر في عينيها نظرة ثاقبة) نعم، بالفعل يا جونهيلد، كنت ألمح لشيء ما.

السيدة بوركمان: قوليه إذن بلا مواربة.

إيللا رينتهايم: دعيني أقول أولا أنني أيضا لي حق في إيرهارت. ألا تعتقدين ذلك؟

السيدة بوركمان:(تشيح ببصرها بعيدا) لاشك. فبعد المبالغ التي أنفقتها عليه فا....

إيللا رينتهايم: لا، ليس هذا هو السبب يا جونهيلد. ولكن لأنني أحبه.....

السيدة بوركمان: (تبتسم بازدراء) تحبين ابني؟ أيمكنك فعلا؟ أنتِ؟ بالرغم من كل شيء؟

إيللا رينتهايم: نعم، يمكنني.... بالرغم كل شيء. أنا أحبه بالفعل. أنا أحبه أكثر من أي شخص آخر...الآن، في عمري هذا.

السيدة بوركمان: حسن، حسن. كُفي. ولكن.....

إيللا رينتهايم: ولذلك فإنني أشعر بالقلق عندما أرى أن هناك ما يهدده.

السيدة بوركمان: يهدد إيرهارت! ما الذي يهدده؟ أو من يهدده؟

إيللا رينتهايم: أنتِ أولا.....بأسلوبك.....

السيدة بوركمان: (بحدة) أنا!

إيللا رينتهايم:.... ومن بعدك تأتي السيدة ويلتون أيضا. إنني متوجسة منها.

السيدة بوركمان:(تنظر إليها في ذهول) أمعقول أن تفكري هكذا في إيرهارت!؟ ابني أنا! هو، الذي لديه رسالة عظيمة.

إيللا رينتهايم: (بلا اكتراث) أوه، ....رسالة

السيدة بوركمان:(بغضب) وتجرؤين على قولها بهذه الطريقة المهينة!

إيللا رينتهايم: هل تظنين أن شابا في عمر إيرهارت...مفعما بالصحة والحيوية... أتظنين أنه سوف يضحي بنفسه..... من أجل "رسالة" كهذه!؟

السيدة بوركمان:(بحزم وبشكل قاطع) بل إن إيرهارت سيفعل! إنني متأكدة .

إيللا رينتهايم: (تهز رأسها) لا، أنتِ لا تعرفين ولا تؤمنين بشيء يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: لا أومن؟

إيللا رينتهايم: إنه مجرد شيء تحلمين به. فلو لم يكن لديك شيء كهذا تتعلقين به لتملك منك اليأس.

السيدة بوركمان: نعم، كنت سأشعر باليأس فعلا. (بحدة) لعل هذا ما كنت تريدينه يا إيللا!؟

إيللا رينتهايم:(ترفع رأسها) نعم، إنني أفضل ذلك.... طالما أنك لن تستطيعي "تحرير" نفسك إلا إذا تأذي إيرهارت.

السيدة إيرهارت:(متوعدة) أنتِ تريدين إفساد علاقتنا! علاقة أم وابنها! أنتِ!

إيللا رينتهايم: أنا أريد أن أحرره من سلطتك... من رغباتك....من تحكمك .

السيدة بوركمان: (بانتصار) لن تتمكني من ذلك بعد الآن! لقد وقع في شباكك... حتى بلغ الخامسة عشر، غير أني فزت به الآن من جديد، كما ترين!

إيللا رينتهايم: وأنا سأسترده منك مرة أخرى!(بصوت أجش، وتهمس) لقد خضنا نحن الاثنتين معركة حياة أو موت من قبل من أجل شخص آخر يا جونهيلد!

السيدة بوركمان: (بتعالي) نعم، وأنا انتصرت في النهاية.

إيللا رينتهايم: (بابتسامة تحمل ازدراء) هل ما زلتِ تظنين أنكِ انتصرتِ؟

السيدة بوركمان:(بحزن) لا:....أنتِ على حق في ذلك.

إيللا رينتهايم: ولن تنتصري هذه المرة أيضا.

السيدة بوركمان: لن أنتصر، ولن أحتفظ بسيطرتي كأم على إيرهارت!؟

إيللا رينتهايم: بلى، ذلك لأنك لا ترغبين إلا في فرض سيطرتك عليه فقط.

السيدة بوركمان: وأنتِ!؟

إيللا رينتهايم: (بدفء) أريد مودته.... روحه...كل قلبه!....

السيدة بوركمان: (بانفعال) لن تنالي ذلك أبدا ثانية!

إيللا رينتهايم: (تنظر إليها) وهل سعيتِ إلى ذلك؟

السيدة بوركمان:(تبتسم) نعم، لقد سمحت لنفسي أن أفعل، أما استطعتِ أن تستشفي ذلك وأنت تقرئين خطاباته لكِ؟

إيللا رينتهايم: (تومئ ببطء) نعم، أنتِ، كُلك، كنتِ في خطاباته.

السيدة بوركمان:(بجرأة) لقد قمت باستغلال السنوات الثمانية التي كان فيها تحت جناحي أحسن استغلال، كما ترين.

إيللا رينتهايم: (تكبح جماح نفسها) ماذا قلتِ لإيرهارت عني؟ هل يمكنك أن تخبريني؟

السيدة بوركمان: نعم، بالتأكيد.

إيللا رينتهايم: قولي إذن.

السيدة بوركمان: لقد أخبرته الحقيقة.

إيللا رينتهايم: وما هي؟

السيدة بوركمان: ظللت أقول له إنه ينبغي أن يتذكر دوما أننا بفضلك أنتِ استطعنا أن نعيش.... أو بالأحرى قادرين على العيش بأَيّ شَكْل من الأَشْكال.

إيللا رينتهايم: لا شيء غير ذلك؟

السيدة بوركمان: أوه، هذا شيء مزعج. أنا نفسي أحس بنفس الشعور.

إيللا رينتهايم: ولكن هذا ما يعرفه إيرهارت بالفعل.

السيدة بوركمان: عندما عاد إلي، كان يظن أنك فعلتِ ذلك بنية طيبة. (بحقد) أما الآن فلم يعد يعتقد ذلك يا إيللا.

إيللا رينتهايم: وماذا يعتقد الآن إذن؟

السيدة بوركمان: الآن يعرف الحقيقة. لقد سألته كيف يفسر لنفسه أن الخالة إيللا لم تحضر لزيارتنا أبدًا.

إيللا رينتهايم:(تقاطعها) إنه بالفعل يعرف أسباب ذلك من قبل!

السيدة بوركمان: إنه يعرفها الآن أكثر ..... أنتِ جعلتيه يظن إن السبب هو رغبتك في حمايتي وحماية ..... الرجل الذي يعيش هناك فوق.

إيللا رينتهايم: وكان هذا سببا آخر.

السيدة بوركمان: إن إيرهارت لا يصدق ذلك الآن مطلقا.

إيللا رينتهايم: و ماذا جعلتيه يظن بي؟

السيدة بوركمان: إن ما يظنه هو الحقيقة. الآن، أنت تشعرين أننا نجلب لكِ العار.... وتكرهيننا. أليس كذلك؟ ألم تخططي حتى تنتزعيه مني تماما؟ تذكري يا إيللا. بالتأكيد أنتِ تتذكرين .

إيللا رينتهايم:(رافضة) كان ذلك عندما بلغت الفضيحة ذروتها وكانت القضية أمام القضاء.....أما الآن فلم تعد هذه الأفكار تخطر على بالي مطلقا.

السيدة بوركمان: وهذا لن يفيدك بشيء أيضا، فماذا سيكون مصير رسالته في هذه الحالة؟! أوه،لا! إنه أنا من يحتاج إليها إيرهارت..لا أنتِ. وعلى ذلك فهو يُعتبر ميتا بالنسبة لكِ! وأنتِ ميتة بالنسبة إليه!

إيللا رينتهايم: (ببرود وبحزم) سنرى. ذلك لأني سأبقى هنا الآن.

السيدة بوركمان:(تحملق فيها) هنا؟ في المزرعة؟

إيللا رينتهايم: نعم، هنا.

السيدة بوركمان: هنا... معنا؟ الليلة؟

إيللا رينتهايم: سأبقى هنا طوال حياتي إذا لزم الأمر.

السيدة بوركمان: (تتمالك نفسها) حسن، حسن يا إيللا.... فالمزرعة ملك لكِ بالطبع.

إيللا رينتهايم: ماذا ....!؟

السيدة بوركمان: كل شيء هنا ملك لكِ. وحتى المقعد الذي أجلس عليه، ملك لكِ، والسرير الذي أرقد عليه وأتقلب فيه من الأرق ملك لكِ، حتى الطعام الذي نأكله يأتينا من عندك.

إيللا رينتهايم: لم يكن في الإمكان تدبير الأمر بطريقة أخرى. لم يكن ممكنا لبوركمان أن يحتفظ بأي ممتلكات باسمه لأن حينها سيأتي من يستولى عليها في الحال.

السيدة بوركمان: أعلم ذلك. وعلينا أ ن نرضى بأن نعيش تحت رحمتك.

إيللا رينتهايم: (ببرود) ليس في مقدوري أن أمنعك من رؤية الأمور من وجهة نظرك أنتِ يا جونهيلد.

السدة بوركمان: لا، لا تستطيعين. متى تريدين منا أن نرحل من هنا؟

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها) ترحلون؟

السيدة بوركمان: (بغضب) نعم، لا يمكن أن تتخيلي أبدا أنني سأبقى معك هنا تحت سقف واحد!....لا، أنا أفضل الذهاب إلى ملجأ الفقراء أو العيش على قارعة الطريق!

إيللا رينتهايم: حسن، دعيني آخذ إيرهارت معي....

السيدة بوركمان: إيرهارت! ابني! طفلي!

إيللا رينتهايم: نعم؛ وعندئذ سأعود به إلى منزلي في الحال.

السيدة بوركمان: (تتروى قليلا، وبحزم) إيرهارت سيختار بيننا بنفسه .

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها في شك وتردد) هو سيختار؟ نعم... وهل تجرؤين على ذلك؟

السيدة بوركمان: (تضحك ضحكة قوية وجافة) أجرؤ!؟ أن أجعل ابني يختار بين أمه وبينك!؟ نعم، أجرؤ.

إيللا رينتهايم:(تنصت) هل هناك أحد قادم؟ أظن انني أسمع ....

السيدة بوركمان: لابد أنه إيرهارت...

(يُسمع طرق سريع على باب المدخل ويُفتح الباب على مصراعيه. تدخل السيدة ويلتون مرتدية ثوب حفل وفوقه معطفا ومن خلفها الخادمة التي لم يكن لديها وقت كاف لتعلن عن وصول أحد فبدت الحيرة عليها. يبقى الباب مواربا. تبدو السيدة ويلتون جميلة وفاتنة في الثلاثين من عمرها ذات شفتين عريضتين حمراوين باسمتين وعينين لامعتين وشعر كثيف وداكن.)

السيدة ويلتون: مساء الخير يا عزيزتي السيدة بوركمان!

السيدة بوركمان:(بطريقة جافة) مساء الخير يا سيدتي . (للخادمة وهي تشير نحو الشرفة الزجاجية التي تطل على الحديقة) خذي المصباح وضعيه هناك ثم أوقديه.

(تأخذ الخادمة المصباح وتذهب به.)

السيدة ويلتون: (تنظر إلى إيللا رينتهايم) أوه، معذرة .... لديك غرباء هنا...

السيدة بوركمان: لا أحد سوى أختي، وصلت توا من السفر.....

(يدفع إيرهارت الباب الموارب ويندفع إلى الداخل بقوة. وهو شاب ذو عينين لامعتين لونهما فاتح. يرتدي ملابس أنيقة وله شارب خفيف.)

إيرهارت: (بسعادة وهو يقف بالمدخل) ما هذا!؟ هل جاءت خالتي إيللا؟ (يندفع إليها ويمسك بيديها) خالتي! خالتي! لا، معقول!؟ أأنتِ هنا؟

إيللا رينتهايم:(تُلقي بذراعيها حول عنقه) إيرهارت! حبيبي، ابني الطيب! كم كبرت ! أوه، ما أسعدني برؤيتك ثانية!

السيدة بوركمان: (بحدة) ما هذا يا إيرهارت.....هل كنت تخفي نفسك في المدخل؟

السيدة ويلتون: إيرهارت... السيد بوركمان جاء معي.

السيدة بوركمان: فعلا! ولم تمر على أمك أولا !

إيرهارت: كان علي أن أمر على السيدة ويلتون لوقت قصير حتى أحضر فريدة الصغيرة معي.

السيدة بوركمان: هل جاءت الآنسة فولدال هي أيضا؟

السيدة ويلتون: نعم، تركناها بالخارج في الردهة.

إيرهارت: (ينادي عبر الباب المفتوح) اصعدي يا فريدة.

(صمت. تراقب إيللا رينتهايم إيرهارت. يبدو عليه الإحراج والتململ وبعض الضيق، وعلى وجهه تعبير ينم عن الجمود والبرود.)

(تحضر الخادمة مصباح موقد إلى الشرفة الزجاجية التي تطل على الحديقة، وتخرج مرة أخري وتغلق الباب خلفها.)

السيدة بوركمان: (بأدب مصطنع) أهلا يا سيدة ويلتون.....إذا كنت ستبقين هنا الليلة فا.....

السيدة ويلتون: لا، شكرا جزيلا يا سيدتي. فأنا لا أنوي أن أفعل ذلك. لدينا دعوة أخرى. فنحن ذاهبان إلى المحامي هانكالز.

السيدة بوركمان: (تنظر إليها) نحن؟ ماذا تقصدين بكلمة نحن؟

السيدة ويلتون: (ضاحكة) أنا، في الحقيقة. لم أقصد غير نفسي فقط. لكن سيدات العائلة فوضوني كي أحضر الطالب بوركمان .... إذا تصادف وقابلته.

السيدة بوركمان: وكما أرى فقد صادف أن قابلتيه.

السيدة ويلتون: نعم، لحسن الحظ. لأنه كان حنونًا ومر علي ... من أجل فريدة الصغيرة.

السيدة بوركمان:(بجفاء) يا إيرهارت.... لم أكن أدري أنك تعرف تلك العائلة... عائلة هانكالز هذه؟

إيرهارت: (بضيق) بالفعل لا أعرفهم. (يضيف بشيء من الضيق) أنت تدرين يا أمي أي أناس أعرف وأيهم لا أعرف.

السيدة ويلتون: أوه، هُراء! ما أسهل أن يتعرف المرء على هؤلاء الناس، فهم قوم سعداء ومبتهجون وكرماء. وهناك شبات صغيرات.

السيدة بوركمان:(مؤكدة) حسب معرفتي بابني يا سيدة ويلتون فإن هؤلاء الناس ليسوا من النوع الذي يناسبه.

السيدة ويلتون: لكن يا الله يا سيدتي، إنه شاب أيضا!

السيدة بوركمان: أه، لحسن الحظ أنه شاب صغير. سوف يفيد أن يكون شابا.

إيرهارت: (يخفي ضيقه) نعم، نعم. نعم .يا أمي..... بالطبع لن أذهب إلى عائلة هانكالز هذه الليلة. سأبقى بالطبع هنا معك ومع خالتي إيللا.

السيدة بوركمان: كنت متأكدة من ذلك يا إيرهارت يا حبيبي .

إيللا رينتهايم: لا، يا إيرهارت.... ليس عليك البقاء هنا من أجلي.

إيرهارت: لا. لا يمكنني بالطبع أن أفعل شيء آخر يا خالتي العزيزة. (ينظر بقلق إلى السيدة ويلتون) ولكن كيف سنفعل ذلك؟ هل يمكن؟ لأنكِ قبلتِ دعوتهم.... بالنيابة عني.

السيدة ويلتون: (بفرحة) هراء! وما المانع؟ عندما أذهب إلى الصالون المضيء المبهج... وحيدة مهجورة... تخيل! سأقول "لا" نيابة عنك.

إيرهارت: (مؤكدا) حسن، طالما أنك ترين أنه من الممكن فا.....

السيدة ويلتون: (بخفة وبلا مبالاة) ما أكثر ما أجبت بنعم أو لا ....بالنيابة عن نفسي. وهل يمكنك أن تترك خالتك وتذهب وقد وصلت لتوها؟ خسئت يا سيد إيرهارت!.... هل هذا تصرف يصدر من ابن بار؟

السيدة بوركمان: (بضيق) ابن بار؟

السيدة ويلتون: حسن. فلنقل ابنا بالتبني إذن يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان: نعم، يمكنك أن تضيفي هذه الكلمة.

السيدة ويلتون: أوه، يبدو أن المرء يكون ممتنا لأمه بالتبني أكثر من أمه الحقيقية.

السيدة بوركمان: وهل مررتِ بهذه التجربة؟

السيدة ويلتون: أوه، يا الله!.... إنني لم أعرف سوى القليل عن أمي ولو كان لي أم بالتبني بهذه الطيبة أنا أيضا ..... لما كنت.... امرأة سيئة السمعة كما يقول الناس عني . (تستدير نحو إيرهارت) حسن، كن مهذبا وابق في المنزل مع أمك وخالتك..... وتناول معهما الشاي ياعزيزي الطالب! (للسيدات) اللي اللقاء، إلى اللقاء، يا سيدتي! إلى اللقاء يا آنسة!

(تنحني لها السيدتان في صمت وتتجه نحو الباب.)

إيرهارت: (يتبعها) هل أرافقك قليلا إلى ....؟

السيدة ويلتون: (تمنعه وهي تقف عند الباب) لن تتبعني خطوة واحدة. لقد تعودت على السير في طريقي بمفردي. (تقف بمدخل الباب وتنظر إليه وتومئ) كن حذرا أيها الطالب بوركمان ....أقول لك!

إيرهارت: ولماذا أكون حذرا؟

السيدة ويلتون: (ببهجة) ذلك لأنني عندما أسير في الطريق .... وحيدة مهجورة كما قلت لك... سأحاول أن أسحر لك.

إيرهارت: (يضحك) أوه، فعلا ! هل ستحاولين ذلك معي مرة أخرى؟

السيدة ويلتون: (بشيء من الجدية) نعم، كن حذرا فقط. فعندما أمشي على الطريق سأقول لنفسي ومن أعماقي... وبإرادتي الحقيقية ...: " أيها الطالب إيرهارت بوركمان...تناول قبعتك في الحال"!

السيدة بوركمان: وهل تعتقدين أنه سيتناولها؟

السيدة ويلتون: (ضاحكة) أقسم أنه سوف يمسك بالقبعة في الحال. وعندئذ سأقول: " ارتدي معطفك يا إيرهارت بوركمان! لا تنسى أن ترتدي غطاء للحذاء! ثم اتبعني، مطيعا، مطيعا"!

إيرهارت:(ببهجة مصطنعة) بالطبع، تأكدي أنني سأفعل .

السيدة ويلتون:(ترفع سبابتها) مطيعا! مطيعا! ..... طاب .يومكم.

(تضحك وتومئ للسيدات وتغلق الباب خلفها)

السيدة بوركمان: هل تمارس تلك الألاعيب حقا؟

إيرهارت: لا، مطلقا. كيف تفكرين في شيء كهذا ؟إنها مجرد دعابة. (يتوقف) دعونا من الحديث عن السيدة ويلتون.(يجعل السيدة إيللا رينتهايم تجلس في المقعد المريح بجوار المدفأة، ثم يقف وينظر إليها قليلا) معقول يا خالتي إيللا أن تقطعي هذه المسافة الطويلة وفي هذا الوقت من الشتاء!

إيللا رينتهايم: كان لابد أن أفعل يا إيرهارت.

إيرهارت: لابد؟ لماذا؟

إيللا رينتهايم: كي أستشير الأطباء هنا.

إيرهارت: حسن. هذا شيء طيب!

إيللا رينتهايم:(تبتسم) أتظن أن هذا شيء طيب؟

إيرهارت: أعني أنك أخيرا اتخذتِ قرارا.

السيدة بوركمان: (وهي تجلس على الأريكة، ببرود) هل أنتِ مريضة يا إيللا؟

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها بحدة) تعلمين جيدا أنني مريضة.

السيدة بوركمان: أه، مريضة. ذلك المرض الذي تعانين منه منذ عدة أعوام...

إيرهارت: كنت ألح عليك وأنا معك كي تعرضي نفسك على طبيب.

إيللا رينتهايم: أوه، هناك في المنطقة التي أعيش فيها لا يوجد طبيب أثق فيه. علاوة على أنني لم أكن أشعر حينذاك أن الحالة خطيرة.

إيرهارت: هل حالتك أسوأ الآن يا خالتي؟

إيللا رينتهايم: نعم، يا بني ،حالتي أسوأ الآن.

إيرهارت: ولكن الأمر ليس خطيرا، أليس كذلك؟

إيللا رينتهايم: أوه، هذا يتوقف على نظرتك للأمر.

إيرهارت: (بحماس) حسن يا خالتي إيللا، لا تعودي إلى منزلك ثانية بهذه السرعة.

إيللا رينتهايم: لا، لن أفعل.

إيرهارت: ينبغي أن تظلي هنا بالمدينة حيث يمكنك أن تختاري الأكفأ من بين الأطباء.

إيللا رينتهايم: هذا ما فكرت فيه عندما سافرت .

إيرهارت: ولابد أن تجدي لنفسك مسكنا جيدا... فندقا صغيرا هادئا.

إيللا رينتهايم: لقد ذهبت إلى المسكن القديم حيث كنت أسكن في الماضي.

إيرهارت: حسن. ستشعرين بالراحة هناك.

إيللا رينتهايم: أه، ورغم ذلك لن أبقي هناك.

إيرهارت: حقا؟ ولم لا؟

إيللا رينتهايم: لقد غيرت رأيي بعدما جئت هنا.

إيرهارت: (مستغربا) حقا....؟ غيرت رأيك....؟

السيدة بوركمان: (وهي تغزل الكروشيه ودون أن ترفع عينيها) إن خالتك تريد أن تبقى هنا في المزرعة يا إيرهارت.

إيرهارت:(يتناوب النظر بينهما) هنا! عندنا !؟ عندنا نحن!؟.... هل هذا حقيقي يا خالتي؟

إيللا رينتهايم: نعم، قررت ذلك الآن.

السيدة بوركمان:(في وضعها السابق) أنت تعلم أن كل شيء هنا تمتلكه خالتك.

إيللا رينتهايم: إنني سأظل هنا يا إيرهارت على الأقل في الوقت الحاضر. وسأدبر مكانا لي هناك في جناح ناظر المزرعة.

إيرهارت: آه، هذه فكرة طيبة. هناك الكثير من الغرف الشاغرة هناك.(بحماس مفاجئ) ولكن بالمناسبة يا خالتي... ألست متعبة بعد الرحلة؟

إيللا رينتهايم: أوه، بلى. متعبة قليلا.

إيرهارت: حسن إذن. أظن أنه لابد أن تأوي إلى فراشك مبكرا.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه مبتسمة) سأفعل.

إيرهارت:(بحماس) يمكننا أن نتحدث سويا في الصباح... أو أي يوم آخر عن كل شيء وعن كل الأمور. أنتِ وأمي وأنا. ألن يكون ذلك أفضل يا خالتي إيللا؟

السيدة بوركمان:(بانفعال وهي تنهض من على الأريكة) يا إيرهارت، إنني أشعر أنك سترحل وتتركني!

إيرهارت:(يجفل) ماذا تقصدين!؟

السيدة بوركمان: هل تريد أن تذهب...إلى المحامي هانكالز!

إيرهارت:(لا إراديا) أه، هو هذا! (يتمالك نفسه) حسن، هل تريديني أن أبقى هنا وأجعل خالتي إيللا مستيقظة حتى آخر الليل وهي منهكة بهذا الشكل يا أمي؟ فكري بالأمر .

السيدة بوركمان: ولكنك كنت تريد أن تذهب إلى عائلة هانكالز يا إيرهارت!

إيرهارت:(بضجر) نعم، يا الله يا أمي.... أظن أنه ليس من اللائق ألا اذهب. فما رأيك يا خالتي؟

إيللا رينتهايم: تصرف بحرية يا إيرهارت.

السيدة بوركمان: (تتجه إليها متوعدة) أنت تريدين أن تفرقي بيني وبينه!

إيللا رينتهايم:(تنهض) أه، ليتني استطيع يا جونهيلد!

(يُسمع عزف موسيقى يصدر من الطابق العلوي)

إيرهارت:(يتلوى كما لو كان يتألم) أوه، لا يمكنني أن أتحمل! (يتلفت حوله) أين قبعتي؟ (لإيللا) هل تعرفين تلك الموسيقى القادمة من فوق؟

إيللا رينتهايم: لا، ما هي؟

إيرهارت: إنها تعزف رقصة مكابري. رقصة الموت! ألا تعرفين رقصة الموت يا خالتي؟

إيللا رينتهايم:(تبتسم في حزن) ليس بعد يا إيرهارت.

إيرهارت:(للسيدة بوركمان) يا أمي.... أرجو أن ...تسمحي لي بالذهاب!

السيدة بوركمان:(تنظر إليه بقسوة) هل ستترك أمك؟ أهذه رغبتك حقا؟

إيرهارت: سأعود ثانية هنا... ربما غدا.

السيدة بوركمان: (بغضب شديد) أنت تريد أن تتركني كي تبقى مع هؤلاء الغرباء! مع ...مع...: لا، لا أريد مجرد التفكير في ذلك!

إيرهارت: هناك، توجد شموع كثيرة مضيئة ووجوه شباب مبتهجة وموسيقى أيضا يا أمي!

السيدة بوركمان:(تشير إلى السقف) يوجد هناك بالأعلى موسيقى أيضا يا إيرهارت.

إيرهارت: نعم، إن تلك الموسيقى هي التي .... تدفعني لأن أغادر البيت .

إيللا رينتهايم: ألا تريد أن تدع أبيك ينسي قليلا؟

إيرهارت: لا، بالطبع. إنني أريد أن أدعه ينسى كيفما يشاء، ولكن عليه فقط أن يعفيني من الاستماع لتلك الموسيقى.

السيدة بوركمان:(تنظر إليه بجدية) كن قويا يا إيرهارت! كن قويا، يا بني! لا تنسى أبدا أن لديك رسالة عظيمة.

إيرهارت: أوه، يا أمي... لا تتكلمي بهذه الطريقة! إنني لم أخلق لأكون صاحب "رسالة".... طاب يومك يا خالتي! طاب يومك يا أمي.

(يخرج بسرعة عبر غرفة المعيشة.)

السيدة بوركمان:(بعد صمت قصير) أنتِ في الأغلب استردتِيه ثانية يا إيللا.

إيللا رينتهايم: ليتني أصدق أن هذا حقيقي.

السيدة بوركمان: لكن لن تحتفظي به طويلا. سترين.

إيللا رينتهايم: تقصدين ستأخذينه أنتِ؟

السيدة بوركمان: إما أنا ... أو هي، تلك الأخرى.

إيللا رينتهايم: الأفضل إذن أن تأخذه هي لا أنتِ.

السيدة بوركمان:(تومئ ببطء) أنا أفهم ذلك. وأنا أيضا أقول الشيء نفسه. فأنا أفضل أن تأخذه هي لا أنتِ.

إيللا رينتهايم: أيا كان فا.....

السيدة بوركمان: لن يفرق ذلك معي.

إيللا رينتهايم: (تضع المعطف على ذراعها) لأول مرة في حياتنا نتفق - نحن الشقيقتين التوأمتين – على شيء. ...تصبحين على خير يا جونهيلد.

(تخرج عبر غرفة المعيشة. يعلو صوت الموسيقى في الطابق العلوي.)

السيدة بوركمان:(تظل واقفة في مكانها في صمت ثم تنكمش وتهمس على نحو لا إرادي) لقد عاد الذئب إلى العواء ثانية. ..... الذئب المريض. (تقف في مكانها لحظة وتقذف بنفسها على السجادة على الأرض وتتلوي وتتقلب وتهمس) إيرهارت! إيرهارت....! .. كن مخلصا لي! أوه، عد للبيت ومد يد العون لأمك! فأنا لم أعد أقوي على تحمل هذه الحياة بعد الآن.

ستار

الفصل الثاني

(القاعة المهجورة منذ زمن في منزل عائلة رينتهايم بالطابق العلوي. الجدران مغطاة بقماش مزركش برسوم وصور لمشاهد صيد تجسد رعاة وراعيات أغنام بألوان قاتمة. والجدار الأيسر...إلى الخلف مغطى بنفس القماش المزركش وبدون إطار. أمام منتصف الجدار الأيمن مكتب كبير من خشب البلوط مزين بنقوش بارزة ويتكدس فوقه الكثير من الكتب والأوراق. ويليه على نفس الجانب نحو المقدمة أريكة أمامها منضدة وبضع مقاعد. الأثاث مرتب ويحمل طابعا كلاسيكيا. وعلى المكتب والمنضدة مصباحان مضيئان.)

(يقف يون جابريال بوركمان بجوار البيانو ويداه خلف ظهره ويصغي إلى فريدة فولدال وهي جالسة تعزف المقاطع الأخيرة من "رقصة مكابري".)

(يبدو يون بوركمان رجلا حازما و قويا، متوسط الطول في العقد السادس، مظهره مميز ويبدو وجهه من الجانب وسيما وعينيه ثاقبتين وشعره أشيبا ولحيته مجعدة. يرتدي ملابس سوداء ليست من الطراز الحديث ويضع وشاحا أبيض اللون. فريدة فولدال فتاة جميلة بيضاء في الخامسة عشر من عمرها، تكشف تعبيرات وجهها عن تعب وتوتر وترتدي ملابس رخيصة.)

(عُزفت المقطوعة الموسيقية حتى نهايتها. صمت.)

بوركمان: أيمكنك أن تحذري أين سمعت هذه المقطوعة الموسيقية أول مرة؟

فريدة:(تتطلع إليه) لا، يا سيد بوركمان؟

بوركمان: سمعتها في المناجم.

فريدة:(لا تستوعب) حقا؟ تحت، داخل المناجم؟

بوركمان: قد تعرفين أو لا تعرفين إنني ابن عامل منجم ؟

فريدة: لا، يا سيد بوركمان.

بوركمان: ابن عامل منجم، وكان أبي يصحبني معه في المنجم أحيانا. هناك في أعماق المناجم حيث تغني المعادن.

فريدة: حقا....؟ تغني؟

بوركمان:(يومئ) عندما تتفكك. إن ضربات المطارق التي تفككها .... هي أجراس منتصف الليل التي تقرع كي تحررها، لذلك فإن المعادن تغني... من الفرحة ... بطريقتها الخاصة.

فريدة: وكيف تغني المعادن يا سيد بوركمان؟

بوركمان: إنها تغني من أجل الخروج إلى نور النهار كي تفيد البشر.

(يذرع القاعة جيئة وذهابا ويداه معقودتان خلف ظهره دائما.)

فريدة: (تجلس قليلا ثم تنظر في ساعتها وتنهض) معذرة يا سيد بوركمان.... لابد أن أغادر.

بوركمان:(يقف أمامها) أتريدين أن تغادري الآن؟

فريدة:(تضع نوتة الموسيقى في الملف) نعم، للأسف. لابد أن أذهب. (يبدو عليها إحراج واضح) ينبغي أن أذهب لمكان آخر هذا المساء.

بوركمان: أهو حفل؟

فريدة: نعم.

بوركمان: وهناك ستقومين بالعزف للمدعوين في الحفل؟

فريدة: (تعض على شفتها) لا، سأعزف كي يرقصوا.

بوركمان: يرقصون فقط ؟

فريدة: نعم، فهم يريدون أن يرقصوا بعد الغداء.

بوركمان:(يقف ويتطلع إليها) هل تحبين عزف موسيقى الرقص في البيوت بهذا الشكل؟

فريدة: (ترتدي المعطف) نعم، عندما يُطلب مني فا..... ففيها دائما بعض المكاسب البسيطة.

بوركمان:(متحققا) أهذا هو كل ما يشغلك وأنت تعزفين الموسيقى كي يرقصوا ؟

فريدة: لا، إن أهم وأصعب ما يشغلني هو أنني لا أستطيع أن أشاركهم الرقص.

بوركمان: (يومئ) هذا بالضبط ما أردت معرفته.(يروح ويجيء بقلق) نعم، نعم، نعم.....إن أصعب شيء على المرء أن لا يستطيع أن يشارك في الرقص بنفسه. (يقف) ولكن هناك شيئا يعوض ذلك يا فريدة.

فريدة:(تتطلع إليه متسائلة) ما هو يا سيد بوركمان؟

بوركمان: أنك تمتلكين من الموسيقى عشرة أضعاف ما يملكه هؤلاء الراقصون مجتمعين.

فريدة:(تحاول اخفاء ابتسامة) أوه، لكن هذا ليس مؤكدا.

بوركمان: (يشهر سبابته محذرا) حاذري أن تشكي في مواهبك.

فريدة: لكن يا الله! طالما لا أحد يدري عنها شيئا.

بوركمان: ولكنك تدرين وهذا يكفي..... وأين ستعزفين هذا المساء؟

فريدة: هناك عند المحامي هانكالز.

بوركمان:(يرمقها بنظرة خاطفة وحذرة) تقولين هانكالز!

فريدة: نعم.

بوركمان:(بابتسامة متقطعة) هل يأتي غرباء إلى منزل هذا الرجل؟ هل بوسعه أن يجعل الناس يزورونه؟

فريدة: نعم، حسبما قالت السيدة ويلتون فإن كثير من الناس يتوافدون على منزله.

بوركمان:(بحماس) أي نوع من الناس هم؟ هل تستطيعين أن تخبريني؟

فريدة: (بشيء من التوتر) لا، في الحقيقة لا أعلم. آه ..نعم... صحيح.... كل ما أعرفه أن الطالب بوركمان سيذهب هناك الليلة.

بوركمان:(مأخوذا) إيرهارت! ابني؟

فريدة: نعم، إنه سيذهب هناك.

بوركمان: وكيف عرفتِ ذلك؟

فريدة: هو أخبرني بنفسه من حوالي ساعة.

بوركمان: هل حضر اليوم؟

فريدة: نعم، لقد قضى اليوم عند السيدة ويلتون.

بوركمان:(متسائلا) وهل تعرفين إذا كان قد حضر إلى هنا أم لا؟ أقصد إذا كان قد حضر وتكلم مع من بالطابق السفلي؟

فريدة: نعم، لقد مر ليرى السيدة بوركمان لوقت قصير.

بوركمان:(بمرارة) آه...، مفهوم.

فريدة: ومعها سيدة غريبة على ما أظن.

بوركمان: حقا؟ أوه، لا بأس. أظن أن الناس يحضرون لزيارة السيدة بوركمان من حين لآخر.

فريدة: هل أبلغ السيد إيرهارت إذا قابلته فيما بعد أن يصعد إليك هنا؟

بوركمان:(بصوت أجش) لا تخبريه بشيء مطلقا! لا أريد ذلك نهائيا. من يريد أن يراني يمكنه أن يفعل ذلك بمحض إرادته. فأنا لن أطلب شيئا من أحد.

فريدة: حسن، حسن؛ لن أقول له شيئا إذن.... طاب مساؤك يا سيد بوركمان.

بوركمان:(يمشي جيئة وذهابا في الغرفة وهو يهمهم طاب مساؤك.

فريدة: هل تمانع في أن أنزل من السلم الحلزوني الخلفي؟ لأن ذلك أسرع.

بوركمان: أوه، حاشا لله!..... انزلي من أي سلم تريدين. مع السلامة,

فريدة: طاب مساؤك يا سيد بوركمان.

(تخرج من الباب الصغير جهة اليسار)

(يتجه بوركمان نحو البيانو ساهما ويهم كي يغلقه ولكنه يغير رأيه، يتلفت حوله شاردا ويذرع الغرفة جيئة وذهابا من الزاوية التي بها البيانو إلى الزاوية الخلفية جهة اليمين. ويظل يروح ويجيء قلقا ومتوترا وبلا توقف. ثم يتوجه إلى المكتب وينصت من وراء الباب، وبسرعة يمسك بمرآة يدوية ويضبط الوشاح الذي على رقبته.)

(تُسمع طرقة على الباب. ينظر بوركمان بسرعة نحو الباب ولكنه لا يقول شيء .)

(وبعد قليل تُسمع طرقة أخرى قصيرة ولكنها أقوى.)

بوركمان: (يقف بجوار المكتب واضعا يده اليسرى عليه ويضع قبضته اليمنى تحت ملابسه عند صدره) ادخل!

(يدخل فيلهالم فولدال القاعة ببطء. وهو رجل منحني الظهر وله عينان زرقاوان هادئتان وشعره أشيب خفيف وطويل يتدلى حتى أسفل ياقة معطفه، يضع ملفا تحت إبطه ويمسك بقبعة مصنوعة من اللباد ويرتدي نظارة كبيرة رفعها على جبهته.)

بوركمان:(يغير اتجاهه وينظر إلى القادم بشيء من الإحباط ثم يبدو على وجهه شيء من السعادة) أوه، إنه أنت فقط.

فولدال: طاب مساؤك يا يون جابريال. بالطبع، إنه أنا فقط.

بوركمان:(بنظرة صارمة) أري أنك وصلت متأخرا قليلا اليوم.

فولدال: نعم، إن المسافة ليست قصيرة كما تعلم خصوصا لمن يقطعها سيرا على الأقدام.

بوركمان: ولكن لماذا تقطعها سيرا على الأقدام يا فيلهالم ؟ فالعربة قريبة منك.

فولدال: إن المشي أصح، علاوة على أنني أوفر عشر قروش. ...هل حضرت فريدة لتعزف لك؟

بوركمان: لقد غادرت لتوها. ألم تقابلها بالخارج؟

فولدال: لا، لم أرها منذ وقت طويل. منذ أن ذهبت لتعيش في بيت السيدة ويلتون هذه.

بوركمان:(يجلس على الأريكة ويشير إلى أحد المقاعد) يمكنك الجلوس أنت أيضا يا فيلهالم.

فولدال: (يجلس على حافة المقعد) شكرا جزيلا. (ينظر إليه بحزن) أنت لا تستطيع أن تتصور كم أشعر بالوحدة منذ أن غادرت فريدة المنزل.

بوركمان: ماذا...؟ إن لديك كثيرا من الأطفال غيرها .

فولدال: يا الله! لدي بالفعل... خمسة، غير أن فريدة كانت الوحيدة التي تفهمني قليلا. (يهز رأسه بحزن) إن الآخرين لا يفهمونني مطلقا.

بوركمان:(بحزن وساهما وهو ينقر بأصابعه على المنضدة) بالضبط، هذا هو. نعم، تلك هي اللعنة التي يتحملها البعض منا .... نحن البشر المختارون.... نجد أن العامة والأغلبية.... وكل الطبقة الوسطى.... لا يفهموننا يا فيلهالم.

فولدال:(مستسلما) لا يهم... إذ بقليل من الصبر والوقت يمكن أن يمر الأمر. (يختنق صوته بالدموع) ولكن هناك ما هو أمر .

بوركمان: (بحماس) ليس هناك ما هو أمر من ذلك!

فولدال: لا. هناك يا يون جابريال. حدث مشهد بالبيت..... قبل أن أخرج.

بوركمان: حقا؟ لماذا؟

فولدال:(ينخرط في البكاء) لأن أهل بيتي هناك .... يكرهونني.

بوركمان: (ينهض بسرعة) يكرهونك...؟

فولدال:(يمسح دموعه) لقد لاحظت ذلك منذ وقت طويل، ولكن اليوم كان الأمر واضحا تماما.

بوركمان:(يصمت قليلا) لقد أسأت الاختيار عندما تزوجت.

فولدال: لم يكن أمامي مجالا للاختيار. وعلى أية حال..... كان لابد أن أتزوج لأنني كنت قد تقدمت في السن ... وحينها كنت منهارا تماما....

بوركمان: (ينهض من شدة الغضب) أهذا اتهام لي أنا؟ أم لوم!...

فولدال:(منزعج) لا، حاشا لله يا يون جابريال!

بوركمان: نعم، أنت تفكر في تلك الكوارث التي حلت بالبنك!....

فولدال:(بهدوء) لكنني لا ألومك أنت على ذلك! حاشا لله!.....

بوركمان:(مزمجرا ويعود لمقعده) حسن، هذا شيء طيب.

فولدال: ولا تظن أنني مهموم بسبب زوجتي. صحيح أن المسكينة لم تحصل على قسط كاف من التعليم إلا أنها طيبة..... إنهم الأولاد الذين ....

بوركمان: لقد توقعت ذلك.

فولدال: إنهم الأولاد.... هم أكثر ثقافة منها ويواجهون متطلبات كثيرة في الحياة.

بوركمان:(ينظر إليه بشفقة) وهل هذا سبب يجعل أولادك يكرهونك يا فيلهالم.

فولدال:(يهز كتفيه مستهجنا) إنني لم أنجح في بناء مستقبل مهني كما تعلم ولابد أن أعترف بأن.....

بوركمان: (يقترب منه ويضع يده على ذراعه) ألا يعلمون أنك كتبت مسرحية درامية في شبابك؟

فولدال:نعم، بالطبع يعرفون. ولكن يبدو أن هذا لم يبهرهم كثيرا.

بوركمان: إذن فهم لا يفهمون، لأن المسرحية الدرامية التي كتبتها جيدة. أنا واثق من ذلك.

فولدال:(تنفرج أساريره) أنت ترى أنها جيدة جدا، أليس كذلك يا يون جابريال؟ يا الله! ليتني أستطيع أن أضعها على خشبة المسرح.....(يفتح الملف ويقلب فيه بحماس) أنظر! دعني أريك الآن شيئا قد قمت بتعديله... فيها.

بوركمان: هل أحضرتها معك؟

فولدال: نعم، أحضرتها معي. لقد مر وقت طويل منذ أن قرأتها عليك آخر مرة. لذلك فكرت أنه قد يسعدك أن أقرأ لك فصل أو فصلين.....

بوركمان:(ينهض ويشير بالنفي) لا، لا. فلتفعل ذلك في مرة أخرى.

فولدال: حسن، حسن... كما تريد.

(يذرع بوركمان الغرفة جيئة وذهابا ويجمع فولدال أوراق المسرحية ثانية)

بوركمان:(يقف أمامه) لقد كنت محقا تماما فيما قلته توا.... فأنت لم تصنع لنفسك أي مستقبل غير أني أعدك يا فيلهالم أنه بمجرد أن تُرد لي نفسي .....

-

فولدال: (يهم بالنهوض) أوه، أشكرك!...

بوركمان:(يلوح بيده) ليتك تظل جالسا. (بانفعال متزايد) عندما تُرد لي مكانتي(إنجيل).... ويعترفون بأنهم لا يمكنهم الاستغناء عني...عندما يأتون هنا في هذه القاعة.... زاحفين ويتوسلون لي كي أتولي إدارة البنك ثانية ....! البنك الجديد الذي أسسوه.... ولا يعرفون كيف يديرونه.... (يقف بجوار المكتب كالسابق ويضرب على صدره) هنا سأقف في استقبالهم! وسيذاع في جميع أنحاء البلاد أيه شروط سيمليها عليهم يون جابريال كي يتولى .... (يتوقف فجأة ويحملق في فولدال) أنت تنظر نحوي في شك! ألا تظن أنهم قادمون؟ حتما، حتما، حتما سوف يأتون لي هنا في يوم ما. ألا تصدق ذلك!؟

فولدال: بلى. إنني والله أصدق ذلك يا يون جابريال.

بوركمان: (يجلس ثانية على الأريكة) إنني مؤمن بذلك تماما. مؤمن تماما... إنهم قادمون.... ولو لم أكن متأكدا تماما...لأطلقت رصاصة على رأسي.

فولدال:(يقلق) أوه،لا. لا داعي لذلك.

بوركمان:(مبتهجا) إنهم قادمون! قادمون! سوف ترى! إنني أنتظرهم كل يوم، وكل لحظة. وها أنت ترى إنني مستعد لاستقبالهم.

فولدال:(متنهدا) ليتهم يأتون قريبا.

بوركمان:(متململا) نعم، إن الوقت يمر وتتوالى السنون وتمر الحياة.... أوف، لا... لا أجرؤ على مجرد التفكر في ذلك!(ينظر إليه) أتعلم بماذا أشعر هذه الأيام؟

فولدال: بماذا؟

بوركمان: أشعر كأنني نابليون وقد هُزم وأصبح عاجزا من أول معركة.

فولدال:(يضع يده على الملف) هذا هو نفس الشعور الذي ينتابني أيضا .

بوركمان: أه، ولكن بدرجة أقل.

فولدال:(بهدوء) ولكن عالم الكتابة يحمل معنا كبيرا بالنسبة لي يا يون جابريال.

بوركمان: :(بحماس) نعم، لكن كان بوسعي أن أصنع الملايين! كل تلك المناجم التي كان من الممكن أن أسيطر عليها! مناجم جديدة لا نهاية لها! مساقط المياه! المحاجر! طرق التجارة! خطوط الملاحة عبر العالم الواسع الأرجاء! كل ذلك، كل ذلك كنت سأديره وحدي!

فولدال: نعم، أعرف ذلك. لا شيء كان سيعترض طريقك.

بوركمان:(يفرك كفيه) والآن كُتب علي الجلوس هنا مثل صقر أصابته رصاصة وأخذ يشاهد كل من سبقوه.... وهم يسلبون منه كل شيء، قطعة، قطعة!

فولدال: هذا ما يحدث لي أنا أيضا.

بوركمان:(دون أن ينظر إليه) تخيل، كم كنت قريبا من الهدف! لو أنهم تركوني ث ثماني أيام فقط لاتخذت قرارا! ولكان من الممكن أن أغطي جميع الودائع، وأستعيد كل الأصول والأسهم . إن الشركات الكبرى كانت على وشك النجاة. ما من أحد كان سيخسر مليما وحدا....

فولدال: نعم، يا الله. كم كنت قريبا من الهدف حتى...

بوركمان:(بغضب مكتوم) حتى جاءت الخيانة! في نفس اليوم الذي كنت سأتخذ فيه القرار! (ينظر إليه) أتعلم ما هو أبشع عمل يمكن للمرء أن يرتكبه ويجلب له العار؟

فولدال: لا، خبرني.

بوركمان: ليس القتل، ولا السرقة ولا حتى اقتحام البيوت بغرض السرقة، ولا حتى شهادة الزور. فمثل تلك الجرائم تحدث تجاه أشخاص يكرهونهم أو لا يمثلون لهم شيء أو ليسوا في حسبانهم.

فولدال: فما هو الأبشع إذن؟

بوركمان:(مؤكدا) الأبشع هو خيانة ثقة منحتها لصديق .

فولدال:(يفكر قليلا) نعم، ولكن أنت تعرف أن....

بوركمان:(ثائرا) ماذا تريد أن تقول ؟ إنني أستطيع أن أقرأه في ملامح وجهك. ولكن هذا لن يفيد. هؤلاء الناس الذين كان لديهم ودائع في البنك كانوا سيستردون كل شيء... كل مليم! لا، أقول لك .... إن أفظع عمل يمكن أن يقوم به المرء هو استغلال رسائل صديق؛ ويعلن للعالم أجمع أسرار أؤتمن عليها طرفان تهامسا بها في غرفة خالية مظلمة وموصده. إن الرجل الذي يفعل ذلك هو شخص مسمم وملوث وأخلاقه أسوأ من أخلاق النصابين. وهذا كان صديقي ... من تسبب في تدميري.

فولدال: إنني أعرف من تقصد.

بوركمان: لم يكن هناك شيء أفعله دون أن أصارحه به. عندما حانت اللحظة رأيت الأسلحة التي وضعتها بنفسي بين يديه.... وهي مسددة نحوي.

فولدال: إنني لم أفهم أبدا لماذا هو .....؟ وقتها كان يوجد شائعات هنا.

بوركمان: وماهي تلك الشائعات؟ خبرني. فأنا لا أعلم عنها شيئا لأنني أخذت للسجن مباشرة. ما هي تلك الشائعات التي راجت يا فيلهالم؟

فولدال: قالوا إنك كنت ستصبح وزيرا.

بوركمان: لقد عرضوا علي ذلك بالفعل ولكنني رفضت .

فولدال: أنت لم تعترض طريقه إذن؟

بوركمان: أوه، لا؛ لم يكن ذلك سبب خيانته.

فولدال: إنني لا أفهم إذن....

بوركمان: يمكنني أن أخبرك يا فيلهالم إن....

فولدال: إن ماذا؟

بوركمان: كان هناك ... امرأة في القصة.

فولدال: امرأة في القصة؟ لا، لكن يا يون جابريال.....

بوركمان:(مقاطعا) نعم، نعم، نعم .... لا داع لأن نتكلم ثانية عن تلك القصص الغبية.... وعلى أية حال لا أنا ولا هو أصبحنا وزراء.

فولدال: ولكنه صعد إلى أعلى المناصب.

بوركمان: وسقطت أنا في القاع.

فولدال: حقا ، إنه مشهد حزين.....

بوركمان: (يومئ له) حزين مثل مشهدك على ما أظن.

فولدال:(بسذاجة) نعم، على الأقل مثله.

بوركمان: (يضحك بهدوء) لكنك إذا نظرت إليه من جانب آخر ستجده نوعا من الكوميديا.

فولدال: كوميديا؟ هذا؟

بوركمان: نعم، من الوضع القائم الآن دعني أقول لك إن ....

فولدال: إن ماذا؟

بوركمان: حسن، أنت لم تقابل فريدة عندما جئت.

فولدال: لا.

بوركمان: في الوقت الذي نجلس فيه هنا نحن الاثنين ستكون هي هناك عنده تعزف موسيقى للرقص، عند الرجل الذي خانني ودمرني.

فولدال: ليس لدي أدنى فكرة عن ذلك.

بوركمان: نعم، لقد أخذت النوتة الموسيقية وخرجت من عندي مباشرة إلى .... المنزل الكبير.

فولدال:(معتذرا) نعم، نعم. إنها مجرد طفلة مسكينة....

بوركمان: هل يمكنك أن تخمن لمن تعزف فريدة... ضمن الحاضرين؟

فولدال: لا.

بوركمان: لابني.

فولدال: ماذا؟!

بوركمان: نعم، ما رأيك في هذا يا فيلهالم؟ إن ابني ضمن الراقصين هناك. أليست هذه كوميديا كما قلت لك؟

فولدال: نعم، ولكن من المؤكد أنه لا يعرف شيئا عما حدث.

بوركمان: ما الذي لا يعرفه؟

فولدال: لا أعلم كيف أن... هذا الرجل..... على أية حال....

بوركمان: يمكنك أن تنطق اسمه. ...ففي مقدوري أن أتحمل سماع اسمه الآن .

فولدال: أنا واثق أن ابنك لا يعرف الملابسات يا يون جابريال.

بوركمان: (بحزن، يجلس وينقر المنضدة) إنه يعرف.... أنا واثق من ذلك مثلما أثق في أنني جالس معك هنا .

فولدال: هل كنت تتوقع أنه سيزور هذا البيت؟

بوركمان:(يهز رأسه بالنفي) إن ابني ينظر إلى الأمر نظرة تختلف عن نظرتي. أقسم لك بأنه يأخذ جانب أعدائي! وأنه يرى مثلهم أن المحامي هانكالز لم ي يؤد سوى واجبه عندما خانني ....

فولدال: ولكن يا عزيزي من الذي جعله يفهم الأمر على هذا النحو؟

بوركمان: من؟ أنسيت من الذي رباه؟ في البداية كانت خالته.... هي من ربته منذ أن كان في السادسة أو السابعة من عمره، وبعد ذلك أمه!

فولدال: أعتقد أنك تظلمهما .

بوركمان: (يستشيط غضبا) أنا لا أظلم أي إنسان أبدا! الاثنتان حرضتاه ضدي، صدقني!

فولدال:(بهدوء) لا بأس، لابأس، لابأس. أظن أنهما قد فعلتا ذلك.

بوركمان:(ساخطا) أ وه، يا لهن من نسوة! هن يسممن ويفسدن علينا حياتنا ويتلاعبن بمصائرنا.. ... ويعترضن مسار تقدمنا.

فولدال: ليس كلهن.

بوركمان: حقا؟ فلتذكر لي واحدة فقط منهن تصلح لأي شيء!

فولدال: ولا واحدة، بالفعل . القليلات اللواتي عرفتهن لا يصلحن لشيء.

بوركمان:(يتأفف بازدراء) حسن، فما الفائدة منهن إذن!؟ ما فائدة وجود مثل هؤلاء النسوة ...اللواتي تعرفهن!؟

فولدال:(بعطف) لا يا يون جابريال. هناك فائدة. يا لها من فكرة سعيدة ومباركة أن يكون هناك بعيدا في مكان ما.... امرأة نقية!

بوركمان:(يتحرك متململا على الأريكة) أوه، كف عن هذا الأسلوب الشعري غير الواقعي!

فولدال: (ينظر إليه وقد شعر بالإهانة) أتصف أقدس ما أؤمن به بالأسلوب الشعري غير الواقعي؟

بوركمان: (بقسوة) نعم، هو كذلك! لأن بسبب أسلوبك هذا فشلت في شق طريقك في الحياة. لو أنك تخلصت من كل هذا... لكان في مقدوري أن أساعدك كي تقف على قدميك مرة أخرى....كي تنهض.

فولدال: (يغلي من الداخل) أوه، هذا ليس بمقدورك.

بوركمان: بل بمقدوري فور أن أستعيد سلطتي مرة أخرى.

فولدال: ولكن هذا بعيد المنال.

بوركمان:(بحماس) لعلك تظن أن هذا لن يحدث أبدا؟ أجبني!

فولدال: لا أدري بماذا أجيب.

بوركمان:(ينهض، ببرود وبجلال، مشيحا بيده نحو الباب) في هذه الحالة لم أعد في حاجة إليك.

فولدال:(ينهض من المقعد) لم تعد في حاجة إلي!...

بوركمان: ما دمت لا تعتقد أن قدري سيتبدل فا....

فولدال: لا يمكنني أن أعتقد في شيء منافيا للعقل!..... فالقانون لم يبرأ ساحتك من....

بوركمان: أكمل! أكمل!

فولدال: صحيح أنني لم أتم تعليمي في القانون ولكني قرأت ما يكفي لأن....

بوركمان:(بسرعة) أتقصد أن ذلك مستحيل؟

فولدال: ما من جهة قضائية يمكنها البت في هذه القضية.

بوركمان: ليسوا في حاجة لتطبيق ذلك مع الرجال المتميزين.

فولدال: القانون لا يعبأ بتلك الاعتبارات.

بوركمان:(بقسوة وبحزم) أنت لست مؤلفا موهوبا يا فيلهالم.

فوالدال:(يطبق يداه بطريقة لا إرادية) هل أنت جاد فيما تقول؟

بوركمان: (يغير الموضوع دون أن يجيب على السؤال) كل منا يهدر وقت الآخر ومن الأفضل ألا تأتي ثانية.

فولدال: إذن أنت تريدني أن أتركك؟

بوركمان:(دون أن ينظر إليه) لم أعد في حاجة إليك.

فولدال:(يأخذ الملف برفق) حسن، حسن، حسن. كما تشاء.

بوركمان: إنك كنت تكذب علي طوال الوقت.

فولدال:(يهز رأسه بالنفي) ما كذبت عليك قط يا يون جابريال.

بوركمان: ألم تجلس هنا تحدثني عن الأمل والإيمان وتبث في الثقة.... ألم يكن ذلك كذبا؟

فولدال: لم يكن كذبا طالما كنت تؤمن برسالتي. طالما تؤمن بي فانا أؤمن بك.

بوركمان: كل منا كان يخدع الآخر. وربما كنا نخدع أنفسنا... نحن الاثنين.

فولدال: ولكن ألا يعد ذلك صداقة حقيقية يا يون جابريال؟

بوركمان: (يبتسم بمرارة) نعم، الخداع... هو الصداقة. أنت على حق. لقد مررت بتلك التجربة ذات يوم.

فولدال: (ينظر إليه) أنا لست كاتبا موهوبا! وطاوعتك نفسك لتقول لي ذلك بهذه القسوة.

بوركمان:(بلهجة أرق) لست متخصصا في هذا الشأن.

فولدال: لعلك متخصص أكثر مما تظن.

بوركمان: أنا؟

فولدال: (بهدوء) نعم، أنت. إن الشك كان ينتابني أنا نفسي....من حين إلى آخر. ... فلتعلم ذلك. ذلك الشك الفظيع..... فأنا دمرت حياتي بسبب تلك الأوهام.

بوركمان: ما دمت تشك في نفسك فمعنى ذلك أنك تنهار.

فولدال: ولهذا السبب فأنا أجد راحة في الحضور إلى هنا كي أتكئ على إيمانك بي. (يأخذ قبعته) ... أما الآن فقد أصبحت غريبا بالنسبة إليك.

بوركمان: وأنت كذلك بالنسبة لي؟

فولدال: طاب مساؤك يا يون جابريال.

فولدال: طاب مساؤك يا فيلهالم.

(يخرج فولدال من جهة اليسار)

(يقف بوركمان وينظر في اتجاه الباب المغلق؛ يهم بالتحرك وكأنه يريد أن ينادي على فولدال كي يعود ثانية ولكنه يتراجع، ثم يذرع الغرفة جيئة وذهابا ويديه خلف ظهره. ثم يقف بجوار المنضدة التي بجوار الأريكة و يطفئ المصباح. أصبحت القاعة شبه مظلمة. بعد برهة، تُسمع طرقة على الباب المغطى بورق الحائط، جهة اليسار إلى الخلف.)

بوركمان:(بجوار المنضدة، مندهشا، يستدير، ويسأل بصوت مرتفع) من الطارق؟

(لم يتلق إجابة ثم تُسمع طرقة أخرى)

بوركمان:(دون أن يتحرك) من؟ أدخل؟

(تظهر إيللا رينتهايم عند الباب وفي يدها شمعة مضاءة، ترتدي ملابس سوداء كما كانت من قبل، وقد طرحت معطفها حول كتفيها.)

بوركمان:(يحملق فيها) أوه، من أنتِ؟ ماذا تريدين مني!؟

إيللا رينتهايم:(تغلق الباب وتقترب منه) إنه أنا يا بوركمان.

(تضع الشمعة على البيانو وتظل واقفة هنا.)

بوركمان:(يقف مصعوقا، يحدق فيها بثبات، وبصوت شبه هامس) أوه...أهو أنتِ يا إيللا. هل أنتِ إيللا رينتهايم؟

إيللا رينتهايم: نعم....، إيللا "حبيبتك".... كما كنت تدعوني، في الماضي، منذ سنوات عديدة.... سنوات عديدة.

بوركمان: (كما كان في السابق) نعم، إنه إنتِ يا إيللا ... لقد تبينت ذلك الآن.

إيللا رينتهايم: وهل تعرفت علي ثانية؟

بوركمان: نعم، الآن بدأت....

إيللا رينتهايم: لقد تركت السنون بصماتها علي بقسوة يا بوركمان. ألا تظن ذلك؟

بوركمان:(مجبرا) لقد تغيرتِ قليلا. على الأقل هذا ما بدا لي من النظرة الأولى.....

إيللا رينتهايم: لم أعد أملك الآن شعرا أسودا متموجا منسابا خلف رقبتي، شعري الذي كنت تحب أن تلفه حول أصابعك.

بوركمان:(بسرعة) هذا صحيح! أستطيع أن أراه الآن يا إيللا.... لقد صففت شعركِ بطريقة مختلفة.

إيللا رينتهايم:(بابتسامة حزينة) بالضبط. إن الطريقة التي أصفف بها شعري هي التي أحدثت هذا التغيير.

بوركمان:(يغير الموضوع) على أية حال لم يكن لدي خبر بأنكِ هنا في منطقتنا.

إيللا رينتهايم: لقد حضرت توا.

بوركمان: وما الذي دعاكِ للمجيء إلى هنا ..... الآن في هذا الوقت من الشتاء؟

إيللا رينتهايم: سأخبرك.

بوركمان: أتريدين مني شيء؟

إيللا رينتهايم: منك ومن آخرين. وإذا قلته لك.... فلابد أن أعود بالزمن للوراء كثيرا.

بوركمان: يبدو عليك التعب.

إيللا رينتهايم: نعم، إني متعبة.

بوركمان: ألا تريدين الجلوس؟ هناك ..... على الأريكة.

إيللا رينتهايم: نعم. أشكرك. أريد أن أجلس.

(تمشي إلى اليمين وتجلس في أبعد ركن من الأريكة. يظل بوركمان واقفا بجوار المنضدة ويديه معقودتين خلف ظهره وينظر إليها. صمت قصير.)

إيللا رينتهايم: لقد مضى وقت طويل منذ أن تقابلنا وجها لوجه يا بوركمان.

بوركمان:(بحزن) وقت طويل جدا. وكل تلك الحوادث البشعة وقعت فيها.

إيللا رينتهايم: إن بيننا حياة كاملة، حياة ضائعة.

بوركمان:(ينظر إليها بحدة) ضائعة!

إيللا رينتهايم: نعم، بالضبط، ضائعة بالنسبة لكلينا.

بوركمان:(بلهجة تجارية باردة) لا أعتبر حياتي ضائعة، ليس بعد.

إيللا رينتهايم: حسن، وماذا عن حياتي أنا؟

بوركمان: أنت السبب في ضياع حياتك يا إيللا.

إيللا رينتهايم: (تجفل) أنت من يقول ذلك؟!

بوركمان: كان بمقدورك أن تعيشي سعيدة بدوني.

إيللا رينتهايم: أتعتقد ذلك؟

بوركمان: لو أنك أردتِ ذلك فقط .

إيللا رينتهايم:(بمرارة) نعم، أعلم ذلك. كان هناك شخص آخر مستعدا للارتباط بي.

بوركمان: ولكنك رفضتيه.

إيللا رينتهايم: فعلا. لقد رفضته.

بوركمان: رفضتيه المرة تلو الأخرى. والعام تلو العام.....

إيللا رينتهايم:(بازدراء) تقصد ....أنني رفضت السعادة العام تلو العام.

بوركمان: كان من الممكن ان أن تسعدي معه هو أيضا وبذلك أحصل على خلاصي.

إيللا رينتهايم: أنت...؟

بوركمان: نعم، كان في يدك خلاصي يا إيللا.

إيللا: ماذا تعني؟

بوركمان: لقد ظن أنني السبب وراء رفضك له....رفضك الدائم له. ومن ثم فقد أقدم على الانتقام مني وكان باستطاعته أن يفعل ذلك.... بسهولة. فهو من كان لديه كل خطاباتي التي استأمنته عليها تماما. وقد استغلهم ضدي.... وقضى علي... حتى وقتنا هذا. وبالتالي كنتِ أنتِ السبب في كل هذا يا إيللا!

إيللا رينتهايم: اسمع يا بوركمان .... إن الأمر يبدو كما لو كنت أنا المدينة لك بتعويض.

بوركمان: هذا يتوقف على الطريقة التي تنظرين بها للأمر. أنا أعلم جيدا علام يجب أن أشكرك. فقد اشتريتِ المزرعة وكل الأملاك عن طريق المزاد، وقد تركتي البيت لي.... ولأختك. وأخذت إيرهارت ليعيش معك... واعتنيتِ به بكل الطرق....

إيللا رينتهايم:... خلال المدة التي سُمح لي بها.

بوركمان: .....التي سمحت لكِ بها أختك. نعم . أنا لم أتدخل مطلقا في هذه الأمور العائلية. وكما قلت.... أنا أعرف كل تضحياتك من أجلي ومن أجل أختك. أنتِ قادرة على أن تقومي....بذلك يا إيللا. ويجب أن تتذكري أنه أنا من جعلك قادرة على القيام بذلك.

إيللا رينتهايم:(بغضب) أنت مخطئ تماما يا بوركمان! لقد قمت بذلك بدافع من مشاعري الخالصة تجاه إيرهارت... وتجاهك أنت أيضا.... هذا هو دافعي!

بوركمان:(يقاطعها) دعينا لا نتحدث عن المشاعر وما شابه يا عزيزتي. أعني بالطبع أنك فعلتِ ما فعلتِه لأني جعلتك تستطيعن القيام به.

إيللا رينتهايم: (تبتسم)احم! أستطيع، أستطيع....

بوركمان:(بحماس) نعم، بالضبط. تستطيعين!... عندما دارت المعركة الحاسمة.... عندما كان لابد أن أضحي بالأقارب والأصدقاء.... عندما كان لابد أن أستولي... على الملايين التي كنت مؤتمنا عليها حينذاك.... قمت بحماية كل ما تملكينه، وكل ما يخصك، .... رغم أنه كان بوسعي أن أستولي عليها واقترضها... وأستغلها كما فعلت بالأموال الأخرى!

إيللا رينتهايم:(بهدوء وبرود) هذا صحيح يا بوركمان.

بوركمان: نعم، هذا صحيح. ولذا.... عندما جاءوا كي يأخذوني..... وجدوا كل أموالك كما هي لم تُمس ومحفوظة في خزانة الودائع بالبدروم.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه) لطالما فكرت في هذا الأمر مرارا وتكرارا..... ما السبب الحقيقي الذي جعلك تُبقي على كل ممتلكاتي؟ ممتلكاتي أنا وحدي.

بوركمان: السبب؟

إيللا رينتهايم: نعم، السبب؟ هيا أخبرني.

بوركمان:(بقسوة وبازدراء) أظنكِ تعتقدين أنني فعلت ذلك كي أجد فيما بعد شيئا أستند إليه ....في حال تأزمت الأمور.

إيللا رينتهايم: أوه، لا.... أنت لم تفكر بهذه الطريقة إطلاقا في تلك الأيام.

بوركمان: إطلاقا، كنت واثقا تماما من النصر .

إيللا رينتهايم : نعم. فما السبب إذن.....؟

بوركمان:(يهز كتفيه مستهجنا) يا الله يا إيللا!.... ليس من السهل أن يتذكر المرء الدوافع التي مضي عليها عشرون عاما. أتذكر فقط أنني عندما كنت أنفرد بنفسي وأناضل في صمت من أجل كل مشروعاتي الكبرى التي كان ينبغي أن أنفذها ... كان يخيل لي أنني كما لوكنت قائد منطاد. وفي الليالي التي يجافيني فيها النوم كنت أملأ منطادي الهائل بالهواء كي أطير به فوق محيط مجهول محفوف بالأخطار.

إيللا رينتهايم:(تبتسم) أنت لم تشك أبدا في انتصارك، أليس كذلك؟

بوركمان:(بنفاذ صبر) هكذا هم البشر يا إيللا. إنهم يشكون ويؤمنون بنفس الشيء . (ينظر أمامه ساهما) وأعتقد أن ذلك كان هو السبب في أني لم أكن أريد أن آخذك أنتِ وممتلكاتك معي على ذلك المنطاد.

إيللا رينتهايم:(بشغف) إنني أسألك ما السبب!؟ قل لي لماذا؟

بوركمان:(دون أن ينظر إليها) عادة لا يرغب المرء أن يأخذ معه أعز ما يملك في رحلة من هذا النوع.

إيللا رينتهايم: ولكنك أخذت أعز ما تملك على متن هذا المنطاد. إنها حياتك المستقبلية.....

بوركمان: ليست الحياة المستقبلية دائما هي أعز ما نملك.

إيللا رينتهايم:(بتلهف) أكان هذا شعورك في ذلك الوقت؟

بوركمان: كان كذلك.

إيللا رينتهايم: وكنت أنا أعز ما تملك؟

بوركمان: نعم، كان يبدو الأمر لي على هذا النحو.

إيللا رينتهايم: وبالرغم من ذلك فقد مضت أعوام إثر أعوام منذ أن خنتني... وتزوجت... من أخرى!

بوركمان: تقولين خنتك ... أنت تعلمين جيدا أنه كان هناك اعتبارات أسمى.... نعم، اعتبارات أخرى.... هي التي اضطرتني لذلك حينذاك! لم يكن من الممكن أن أصل إلى أي شيء دون مساعدته.

إيللا رينتهايم:(تتمالك) إذن فقد خنتني ...لاعتبارات أسمى.

بوركمان: لم يكن في مقدوري الاستغناء عن مساعدته .....وهو جعل منكِ ثمنًا لهذه المساعدة .

إيللا رينتهايم: وأنت دفعت الثمن كاملا، دون مساومة.

بوركمان: لم يكن أمامي خيار آخر. فإما النصر أو الهزيمة.

إيللا رينتهايم:(بصوت متأثر وهي تنظر إليه) وهل صحيح أنني كنت حينها أغلى ما تملك؟

بوركمان: حينها وبعدها..... وبعدها بأمد طويل .

إيللا رينتهايم: ومع ذلك فقد قايضت بي؛ وعقدت صفقة مع رجل آخر حول حقك في حبي. إنك بعت حبي ثمنا... لوظيفة مدير البنك!

بوركمان:(بحزن وانكسار) دفعني لذلك ضرورة ملحة يا إيللا .

إيللا رينتهايم:(تنهض من على الأريكة بهياج وعنف) مجرم !

بوركمان:(ينهار ولكنه يتمالك نفسه) لقد سمعت تلك الكلمة من قبل.

إيللا رينتهايم: أوه، لا تظن أنني أقصد ما ارتكبته وكان ضد القانون! أو استغلالك لكل تلك الأسهم والسندات..... أو أيا ما كان....فهل تظن أنني أعبأ بكل ذلك!؟ ليت كان بمقدوري أن أقف بجوارك عندما انهارت الدنيا من حولك....

بوركمان:(بشغف) وماذا بعد يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: صدقني، إنني كنت على استعداد لأن أتحمل كل ذلك معك. العار والدمار...كل شيء ، كنت سأعينك على تحمله ....

بوركمان: هل كنت تودين أن تفعلي ذلك؟ أكان بإمكانك أن تفعلي ذلك؟

إيللا رينتهايم: كنت أود وكان بإمكاني لأنني في ذلك الوقت لم أكن أعلم شيئا عن أكبر جريمة ارتكبتها....

بوركمان: أية جريمة؟ ماذا تقصدين؟

إيللا رينتهايم: أقصد الجريمة التي لا تغتفر.

بوركمان:(يحدق فيها) لقد فقدتِ صوابك.

إيللا رينتهايم:(تقترب منه) أنت قاتل! لقد ارتكبت الخطيئة الكبرى المميتة!

بوركمان: (يتجه نحو البيانو) أنت تهذين يا إيللا!

إيللا رينتهايم: إنك قتلت مشاعر الحب داخلي. (تقترب منه) أتفهم معنى ذلك؟ إن الإنجيل ذكر خطيئة غامضة لا تغتفر. لم أستطع أبدا أن أدرك ماهي تلك الخطيئة؛ ولكني أدرك الآن الخطيئة الكبرى التي لا تغتفر... إنها جريمة قتل مشاعر الحب داخل إنسان.

بوركمان: وأنت تقولين أنني فعلت ذلك؟

إيللا رينتهايم: نعم، أنت فعلت ذلك. لم أدرك من قبل ما الذي حدث لي حتى الليلة. إنك خنتني وتحولت إلى جونهيلد ....اعتبرته حينها تقلبا سريعا من جانبك، وأنه نتيجة لخطة سببها قساوة قلبها. وأظن أنني كدت أن احتقرك قليلا .... بالرغم من ذلك..... غير أني أرى الآن كل شيء! أنت هجرت المرأة التي أحببتها! أنا، أنا، أنا! التي كنت أغلى ما تملك في الوجود، كنت على استعداد لتضحي بي من أجل المكسب المادي. هذه هي جريمة القتل المزدوجة! وأنت المذنب. أنت قتلت روحك وروحي!

بوركمان:(برباطة جأش وبرود) كم أدرك بوضوح طبيعة روحك العاطفية المشبوبة التي يصعب السيطرة عليها يا إيللا! من الطبيعي أن تنظري للأمر هذه النظرة لأنك امرأة . أنتِ لا تهتمين إلا بشيء واحد في الوجود.

إيللا رينتهايم: نعم، أنا لا أهتم.

بوركمان: لا تهتمين سوى بمشاعر الحب التي بداخلك....

إيللا رينتهايم: لا شيء عدا ذلك! لا شيء عدا ذلك! أنت محق .

بوركمان: ولكن عليكِ أن تتذكري أنني رجل. وأنتِ كامرأة، كنتِ أغلى شيء عندي في الوجود. ولكن إذا دعت الضرورة فيمكن أن تحل أية امرأة محل أخرى .....

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه مبتسمة) وهل هذا كان شعورك عندما تزوجت جونهيلد؟

بوركمان: لا. ولكن أهدافي في الحياة هي التي ساعدتني على احتمال ذلك أيضا. كل منابع السلطة في هذه البلد... كنت أريد أن أسخرها بين يدي، كل الأراضي والجبال والغابات والبحار الغنية بالكنوز.... كنت أريد أن أسيطر على كل ذلك وأصنع لنفسي مملكة ومن خلالها أجعل الرفاهية تعم على الآلاف والآلاف من البشر.

إيللا رينتهايم:(تستعيد ذكريات الماضي) أعلم ذلك. فكم من ليالي قضيناها وأنت تتحدث معي عن أهدافك .....

بوركمان: نعم، معكِ أنتِ كنت أستطيع أن أتحدث يا إيللا.

إيللا رينتهايم: وكنت أمزح بخصوص خططك وأسألك إذا كنت تريد أن توقظ كل الأرواح النائمة في المناجم .

بوركمان:(يومئ) إنني أتذكر هذه العبارة.(ببطء) كل الأرواح النائمة في المناجم.

إيللا رينتهايم: ولكنك لم تكن تمزح في هذا الأمر. فقد قلت لي: " نعم، نعم يا إيللا، ذلك بالضبط ما أريد".

بوركمان: وكان ذلك ما أردته بالفعل. وبمجرد أن وضعت قدمي على أول الطريق.... كان كل شيء يعتمد على رجل واحد. رجل كان بإمكانه وكان يريد أن يمنحني المنصب القيادي في البنك..... لو أنني....

إيللا رينتهايم: نعم، هكذا كان! لو أنك تنازلت له في المقابل عن المرأة التي تحبها... والتي أحبتك أيضا بلا حدود.

بوركمان: كنت أعرف كم يحبك. وهو لم يكن ليقبل إطلاقا بأي شروط أخرى.

إيللا رينتهايم: وبناء على ذلك نفذت.

بوركمان:(بحماس) نعم، نفذت يا إيللا! فرغبتي في السلطة سيطرت علي ولذلك نفذت. وكان ينبغي أن أنفذ كما ترين. إنه ساعدني في الصعود حتى منتصف الطريق متوجها إلى القمم التي كانت تجتذبني والتي كنت أتطلع إلى بلوغها. وكنت أصعد إليها خطوة خطوة، وعام تلو الآخر....

إيللا رينتهايم: ومحوتني من حياتك .

بوركمان: ورغم ذلك فقد ألقى بي في الهاوية ثانية. بسببك أنتِ، يا إيللا.

إيللا رينتهايم:(بعد صمت قصير وهي تتمعن التفكير)ألا يبدو الأمر وكأن لعنة حلت على علاقتنا طوال الوقت؟

بوركمان:(ينظر إليها) لعنة؟

إيللا رينتهايم: نعم. ألا ترى ذلك؟

بوركمان:(على مضض) نعم. ولكن لماذا؟ (بانفعال) أوه، يا إيللا.... إني لم أعد أعرف من منا على صواب.....أنا أم أنتِ !

إيللا رينتهايم: إنه أنت من أذنب. لقد تسببت في موت كل منابع الفرحة داخلي.

بوركمان:(بخوف) لا تقولي ذلك يا إيللا!

إيللا رينتهايم: كل منابع الفرحة بالنسبة لامرأة على الأقل. منذ اللحظة التي بدأ ت صورتك داخلي تنطفئ وكسفت شمس حياتي. ويوما بعد يوم بات من الصعب علي أكثر فأكثر .... لا بل من المستحيل تماما..... أن أحب أي مخلوق آخر.....لا إنسان ولا حيوان ولا نبات: فيما عدا واحدا فقط...

بوركمان: ومن ذاك الواحد؟

إيللا رينتهايم: إيرهارت بالطبع.

بوركمان: إيرهارت...؟

إيللا رينتهايم: إيرهارت... ابنك، ابنك يا بوركمان.

بوركمان: هل كنت تحبينه إلى هذا الحد؟

إيللا رينتهايم: ولماذا أخذته عندي في رأيك؟ واحتفظت به بقدر استطاعتي؟ لماذا؟

بوركمان: لقد اعتقدت أنها الشفقة.... مثل كل الأشياء الأخرى .

إيللا رينتهايم:(بغضب شديد كامن) أتقول شفقة!؟ هاها! إنني لم أعرف الشفقة قط.... منذ أن خنتني. ببساطة لم أعد أعرفها ، لو أن طفلا مسكينا جائعا جاء إلى مطبخي وهو يشعر بالبرد وأخذ يستجدي بعض الطعام لتركت الطاهية تقدم له الطعام، وما كنت شعرت بأني لابد أن آخذ هذا الطفل عندي، وأدفئه بجوار مدفأتي، وأجلس أنظر إليه وأنا

سعيدة لأنه أكل وشبع. ومع ذلك لم أكن كذلك أبدا في شبابي، هذا ما أتذكره جيدا !إنه أنت من خلقت الصحراء الجرداء بداخلي.... وخارجي أيضا.

بوركمان: ماعدا إيرهارت.

إيللا رينتهايم: بلى. ليس هذا هو الحال بالنسبة لابنك، إنما هو الحال بالنسبة لكل شيء آخر، كل شيء حي. لقد سلبت مني الشعور بالفرحة والسعادة في الحياة اللتان تشعر بهما الأم، وكذلك سلبت حزن ودموع الأم، وربما كان ذلك من أكبر خسائري.

بوركمان: فعلا يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: من يدري؟ ربما كانت أحزان الأمومة ودموعها هي أكثر شيء يفيدني . (بتأثر شديد) ولكنني لم استطع الاستسلام لتلك الخسارة حينذاك! وهذا ما دعاني لأن آخذ إيرهارت لي وأفوز به وبكل قلبه الطفولي الدافئ المطمئن....حتى....أوه!

بوركمان: حتى ماذا؟

إيللا رينتهايم: حتى جاءت أمه ... أقصد أمه بالولادة..... وأخذته مني مرة أخرى.

بوركمان: كان عليه أن يتركك ليعود إلى المدينة مرة أخرى.

إيللا رينتهايم: (تفرك يديها) نعم، ولكني لم أتحمل رحيله! ولا الفراغ! ولا فقدان قلب ابن!

بوركمان: (يملأ عيناه تعبير شرير) احم... لا أعتقد أنك فقدتيه يا إيللا. فالقلوب لا تتجه بسهولة للشخص الذي يعيش هنا في الطابق الأسفل.... في غرفة المعيشة.

إيللا رينتهايم: لقد فقدت إيرهارت هنا. إنها فازت به واستحوذت عليه ثانية، هي وآخرون أيضا. هذا واضح جدا في الخطابات التي كان يكتبها لي من وقت لآخر.

بوركمان: إذن فقد حضرتِ إلى هنا لتأخذيه معك الى البيت .

إيللا رينتهايم: نعم، لو كان ذلك ممكنا!.....

بوركمان: هذا ممكن لو كنت ترغبين. فأنت أكثر واحدة لها حق فيه.

إيللا رينتهايم: أوه، حق، حق،! ما علاقة الحق بهذا الأمر؟ مالم أحصل عليه بمحض إرادته .... فلن أحصل عليه أبدا وهذا ما ينبغي أن أفعله! والآن لا بد أن أفوز بقلب ابني بلا شريك!

بوركمان: يجب أن تتذكري أن إيرهارت في العشرين من عمره الآن. ولا تعتمدي على أنك سوف تظلين مستحوذة على قلبه بلا شريك حسب تعبيرك.

إيللا رينتهايم:(بابتسامة حزينة) لن يكون هناك داع كي يستمر ذلك طويلا.

بوركمان: فعلا؟ ظننت أنك تطلبين ... تطلبين أن يستمر ذلك حتى آخر يوم في عمرك.

إيللا رينتهايم: بالفعل. لن يكون هناك داع كي يستمر ذلك طويلا.

بوركمان:(مستغربا) ماذا تقصدين؟

إيللا رينتهايم: أظن أنك تعلم بالطبع أنني كنت مريضة في السنوات الأخيرة؟

بوركمان: مريضة؟

إيللا رينتهايم: ألم تكن تعلم؟

بوركمان: لا، الحقيقة.....

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه بدهشة) ألم يخبرك إيرهارت؟

بوركمان: لا أستطيع أن أتذكر ذلك الآن.

إيللا رينتهايم: ربما لم يتحدث عني إطلاقا.

بوركمان: لا، أظن أنه تحدث عنك ولكنني لا أراه كثيرا. تقريبا لا أراه.... ، أنتِ تعرفين أن هناك في الطابق الأرضي من يعمل على إبعاده عني.

إيللا رينتهايم: هل أنت متأكد من ذلك يا بوركمان؟

بوركمان: نعم، متأكد بالطبع. (يغير لهجته) أما كنتِ دائما مريضة يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: نعم، فعلا. ولكن حالتي ساءت هذا الخريف لدرجة أنني اضطررت للمجيء لأستشير أطباء متخصصين.

بوركمان: وهل فعلتِ؟

إيللا رينتهايم: أجل، في الظهيرة.

بوركمان: وماذا قالوا؟

إيللا رينتهايم: أكدوا لي ما كنت أشك فيه منذ زمن....

بوركمان: ماذا؟

إيللا رينتهايم:(بهدوء وترو) إنه مرض لا شفاء منه يا بوركمان.

بوركمان: أوه، لا تصدقي ذلك يا إيللا.

إيللا رينتهايم: إنه مرض لا نجاة ولا شفاء منه. فالأطباء لا يعرفون له دواء. إنهم لا يملكون سوى أن يتركوه يتطور. ليس بمقدورهم أن يفعلوا شيئا لإيقافه، إنهم يخففون آلامه قليلا فقط ,وهذا شيء طيب على أية حال.

بوركمان: أوه، ربما مازال هناك وقت. صدقيني .

إيللا رينتهايم: قد يكون هناك وقت حتى نهاية الشتاء. هم أخبروني بذلل.

بوركمان:(بدون تفكير) حسن..... فالشتاء طويل جدا .

إيللا رينتهايم: (بهدوء) إنه طويل بما فيه الكفاية بالنسبة لي .

بوركمان:(بحماس وهو يراوغ) من أين جاء هذا المرض؟ أنتِ، يا من عشتِ حياة صحية وصحيحة....؟ فمن أين أتى إذن؟

إيللا رينتهايم: (تنظر إليه) يرى الأطباء أنني ربما تعرضت لمحنة عاطفية شديدة الوطأة ذات يوم.

بوركمان:(ثائرا) محنة عاطفية! آها، فهمت! أنا السبب إذن.

إيللا رينتهايم:(بغضب مكتوم) لقد فات الأوان لمناقشة ذلك الآن! ولكن يجب أن أسترد قلب طفلي، طفلي الوحيد قبل أن أرحل! إنه شيء قاسٍ بالنسبة لي أن أفكر في أنني على وشك أن أودع كل شيء.....كل شيء في الحياة،.... أن أرحل عن الشمس والنور والهواء، دون أن أترك ورائي شخصا واحدا يفكر في ، ويتذكرني بحنان وأسى.....مثل أي ابن يفكر ويتذكر أمه التي فقدها.

بوركمان:(بعد وقفة قصيرة) خذيه يا إيللا.... إذا أمكنك الفوز به.

إيللا رينتهايم:(بفرحة) هل توافق؟ هل يمكنك أن تفعل ذلك؟

بوركمان:(بحزن) نعم. وهي ليست بتضحية عظيمة. لأنه لم يعد ملكا لي على أية حال.

إيللا رينتهايم: أشكرك، أشكرك على هذه التضحية على أية حال!...ولكن هناك شيئا آخر أريد أن أطلبه منك، شيء مهم بالنسبة لي يا بوركمان .

بوركمان: حسنا، قولي؟

إيللا رينتهايم: ربما تظن أنه شيئا طفوليا من جانبي ... ..ولن تستطيع أن تفهمه....

بوركمان: هيا قولي.... قولي إذن!

إيللا رينتهايم: بعد أن أموت، ما سأتركه ورائي لن يكون بالشيء القليل...

بوركمان: بلى، بالفعل.

إيللا رينتهايم:(بتأثر) وأريد أن أترك كل شيء لإيرهارت.

بوركمان: نعم، فليس لديك من هو أقرب منه.

إيللا رينتهايم:(بدفء) بلى، ليس لي من هو أقرب منه.

بوركمان: لا أحد من عائلتك، أنت آخر فرد فيها.

إيللا رينتهايم:(تومئ ببطءببطء) نعم، بالفعل. فعندما أموت .... سيموت معي اسم عائلة رينتهايم. ويا لها من فكرة خانقة بالنسبة لي! أن أنمحي من الوجود.... حتى مجرد الاسم .....

بوركمان:(ينهض منفعلا) آه... الآن أدرك ما ترمين إليه!

إيللا رينتهايم:(بتأثر) لا تدع ذلك يحدث، دع إيرهارت يحمل اسمي من بعدي

بوركمان: (ينظر إليها بقسوة) إنني أفهمك. أنت تريدين أن تحرري ابني من لقب أبيه. هذا هو الأمر.

إيللا رينتهايم: أبدا، كان سيسعدني أن أحمله أنا كذلك! ولكن بالنسبة لأم توشك على الموت ... فإن الاسم مرتبط بشيء يفوق ما تتصور وتظن يا بوركمان.

بوركمان:(ببرود وفخر) حسن يا إيللا. سأكون الرجل الذي يحمل لقبه وحده.

إيللا رينتهايم:(تمسك يده وتضغط عليها) شكرا، شكرا! الآن سوينا حساباتنا! نعم، نعم، بالفعل! لقد عوضتني بقدر ما تستطيع. والآن سأغادر هذه الحياة ولكن إيرهارت رينتهايم سيعيش من بعدي!

(يُفتح الباب المغطى بورق الحائط على مصرعيه وتقف السيدة بوركمان عند المدخل وقد غطت رأسها بوشاح كبير)

السيدة بوركمان: (بانفعال شديد) مستحيل أن يحمل إيرهارت هذا الاسم!

إيللا رينتهايم:(تتراجع للخلف) جونهيلد!

بوركمان:(بقسوة ومهددا) أنا لم أسمح لأحد بالصعود إلى هنا!

السيدة بوركمان:(تتقدم خطوة) لقد سمحت لنفسي .

بوركمان:(يتقدم نحوها) ما الذي تريدينه مني؟

السيدة بوركمان: أريد أن أناضل وأقاتل من أجلك، كي أحميك من قوى الشر تلك.

إيللا رينتهايم: إن أسوأ قوى الشر تكمن فيكِ أنتِ يا جونهيلد!

السيدة بوركمان:(بقسوة) كفي. (تمد ذراعها متوعدة) ولكني أقول لكِ... إنه سيحمل اسم أبيه! سيحمله عاليا بعد أن يسترد شرفه ثانية! وأنا فقط من ستكون أمه! أنا فقط! قلب ولدي سيكون لي أنا... لي أنا وليس لأحد آخر.

(تخرج من الباب المغطى بورق الحائط وتغلقه وراءها.)

إيللا رينتهايم:(بحزن وانفعال) بوركمان،..... إن هذه الخلافات سوف تدمر إيرهارت . ينبغي أن تتفاهم مع جونهيلد. ينبغي أن ننزل إليها حالا .

بوركمان:(ينظر إليها) نحن؟ تقصدين أنا أيضا؟

إيللا رينتهايم: أنا وأنت.

بوركمان:(يهز رأسه) إنها صلبة، في صلابة المعدن الخام الذي حلمت باستخراجه من الجبال.

إيللا رينتهايم: فلتحاول الآن!

(بوركمان لا يجيب ويظل واقفا ينظر إليها في شك.)

ستار

الفصل الثالث

(غرفة معيشة السيدة بوركمان. مازال المصباح مضيئا فوق المنضدة التي بجوار الأريكة. وإلى الخلف، الشرفة الزجاجية المطلة على الحديقة مظلمة تماما.)

(تدخل السيدة بوركمان من باب الردهة ولايزال الشال فوق رأسها، تدخل من باب غرفة المعيشة وقد انتابها غضب شديد ، تتجه نحو النافذة، وتزيح عنها الستائر جانبا قليلا ، وتطل في الخارج؛ ثم تعود لتجلس بجوار المدفأة غير أنها تنهض بسرعة مرة أخرى وتقرع الجرس. تقف بجوار الأريكة وتنتظر قليلا. لا أحد يأتي، فتقرع الجرس مرة أخرى ولكن بقوة أكثر.)

(بعد قليل تقبل الخادمة من ناحية غرفة المعيشة. يبدو عليها الضيق وآثار النعاس ويبدو أنها ارتدت ملابسها على عجل.)

السيدة بوركمان: (بضيق) أين كنتِ يا مالينا؟ لقد قرعت الجرس مرتين!

الخادمة: نعم يا سيدتي، لقد سمعته.

السيدة بوركمان: ومع ذلك لم تحضري؟

الخادمة: (بضيق) كان علي أن أرتدي ملابسي أولا.

السيدة بوركمان: نعم، ارتدي ملابس مناسبة واذهبي لإحضار ابني بسرعة.

الخادمة: (تنظر إليها في دهشة) هل أذهب لإحضار الطالب؟

السيدة بوركمان: نعم، قولي له أنه لابد أن يأتي إلى هنا في المنزل على الفور، فأنا أريد أن أتحدث معه.

الخادمة:(متذمرة) إذن من الأفضل أن أوقظ سائق العربة.

السيدة بوركمان: لماذا؟

الخادمة: حتى يجهز العربة. هناك عاصفة ثلجية بالخارج الليلة.

السيدة بوركمان :أوه، هذا لا يهم؛ عليك أن تسرعي بالذهاب. المكان عند زاوية الشارع الأخيرة.

الخادمة: لا ليس عند الزاوية الأخيرة يا سيدتي.

السيدة بوركمان: إنه بالطبع هناك . ألا تعرفين منزل المحامي هانكالز؟

الخادمة: (بسخرية) بالطبع، أعرفه. وهل هذا هو المكان الذي يتواجد فيه الطالب الليلة؟

السيدة بوركمان:(باستغراب) نعم، وفي أي مكان غيره يمكن أن يكون؟

الخادمة: (بابتسامة) حسن، ظننت أنه يمكن أن يكون في المكان الذي اعتاد البقاء فيه.

السيدة بوركمان: أي مكان تقصدين؟

الخادمة: عند من يدعونها السيدة ويلتون.

السيدة بوركمان: السيدة ويلتون؟ إن ابني لا يتردد عليها كثيرا.

الخادمة: (تغمغم بعض الشيء) سمعت أنه يتردد عليها كل يوم.

السيدة بوركمان: هذا هراء يا مالينا. والآن عليك أن تتوجهي فورا إلى منزل المحامي هانكالز لإحضاره .

الخادمة:(تستدير بسرعة) يا اللهِ! سأذهب.

(تهم بالخروج من غرفة المعيشة وفي نفس الوقت يُفتح الباب وتظهر إيللا رينتهايم وبوركمان.)

السيدة بوركمان:(تعود خطوة للخلف) ما هذا؟

الخادمة:(بفزع وهي تقبض يديها بشكل لا إرادي) يا الله!

السيدة بوركمان:(تهمس للخادمة) قولي له أن يحضر على الفور .

الخادمة: (بصوت أخفت) حسن، يا سيدتي.

(تدخل إيللا رينتهايم ومن ورائها بوركمان بينما تتسلل الخادمة من خلفهم إلى الباب ثم تخرج وتغلقه خلفها.)

السيدة بوركمان: (تتماسك وتلتفت نحو إيللا) ما الذي يريده مني وجعله ينزل هنا؟

إيللا رينتهايم: إنه يرغب في التفاهم معكِ يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: إنه لم يفعل ذلك من قبل.

إيللا رينتهايم: سيفعلها هذه الليلة.

السيدة بوركمان: إن آخر مرة وقفنا فيها وجها لوجه ..... كانت في المحكمة عندما استدعوني كي أشهد.....

بوركمان: (يقترب) أما الليلة فأنا من سيشهد.

السيدة بوركمان: (تنظر إليه) أنت!

بوركمان: شهادتي لا تتعلق بما فعلت. فالعالم كله يعرف ماذا فعلت.

السيد بوركمان: (تتنهد) نعم، هذا صحيح. العالم كله يعرف.

بوركمان: ولكنهم لا يعرفون لماذا فعلت ذلك؛ لماذا كنت مضطرا إلى ذلك .الناس لا يفهمون أنه كان ينبغي أن أفعل ذلك من أجلي.....أنا يون جابريال بوركمان ... أنا، وليس أي أحد آخر. وهذا ما أريد أن أشرحه لكِ.

السيدة بوركمان:(تهز رأسها) لا فائدة. فالإغراءات والنزوات لا تبريء ساحة أحد.

بوركمان: بل قد تُبرأ المرء من وجهة نظره.

السيدة بوركمان:(تلوح رافضة) أوه، كف عن هذا الهراء .أنا أيضا فكرت مليا وبما فيه الكفاية في قصتك السوداء.

بوركمان: وأنا أيضا. فعلى مدار السنوات الخمس الطوال وأنا في الزنزانة وفي أماكن أخرى.... كان لدي متسع من الوقت للتفكير فيما حدث. وخلال السنوات الثمانية التي قضيتها هناك فوق حيث كان لدي متسع أكبر من الوقت للتفكير، راجعت القضية وتناولتها من جديد... من أجل نفسي . لقد تناولتها المرة تلو الأخرى وكنت أنا النيابة، والدفاع، كما كنت القاضي أيضا. وبوسعي أن أقول ..... إنني كنت أكثر حيادا من أي أحد آخر. لقد كنت أروح وأجيء وأفكر وأراجع كل تصرف قمت به وأدرسه من جميع النواحي بقسوة وبلا رحمة كأي محامي. والحكم الذي أصدرته هو أن الشخص الوحيد الذي أذنبت في حقه كان ...أنا.

السيدة بوركمان: وماذا عن حقي؟ وحق ابنك؟

بوركمان: أنت وهو تدخلان ضمن كلمة أنا.

السيدة بوركمان: وماذا عن حق المئات الآخرين؟ هؤلاء الذين يقولون أنك دمرت حياتهم.

بوركمان:(بمزيد من الحدة) إنني كنت أملك السلطة! ثم كان الهاتف القوي الذي شعرت به في أعماقي! فتلك الملايين المحبوسة هناك في بطن الجبال كانت تهتف بي! تصرخ بي كي أحررها! وما من أحد آخر كان يسمع صراخها، سواي أنا.

السيدة بوركمان: نعم، وذلك هو السبب في وصم اسم بوركمان بوصمة عار.

بوركمان: الله وحده يعلم لو أن هؤلاء الناس كان لديهم نفس السلطة فهل كانوا سيتصرفون مثلي أم لا؟

السيدة بوركمان: ما من أحد، ما من أحد سواك يمكنه أن يفعل ما فعلت.

بوركمان: ربما لا. هذا لأن لا أحدا منهم كان يمتلك قدراتي. ولو أنهم فعلوه لما كان لنفس الأهداف ولا بنفس الطريقة.....باختصار .... لقد حكمت على نفسي بالبراءة.

إيللا رينتهايم: (بلطف واستعطاف) أتجرؤ على قول ذلك يا بوركمان؟

بوركمان: (يومئ) إنني حكمت على نفسي بالبراءة ولكن بعد ذلك يأتي اتهام الذات القوي والساحق.

السيدة بوركمان: وما هو؟

بوركمان: إنني ظللت جالسا هناك فوق، وأهدرت ثمانية أعوام ثمينة من حياتي! كان علي منذ أول يوم أطلق فيه سراحي أن أواجه الحقيقة مباشرة..... الحقيقة التي في صلابة الفولاذ والتي تخلو من أي أحلام! .كان ينبغي أن أبدأ من أسفل ثم أصعد إلى أعلى مرة أخرى ... إلى أعلى مما وصلت إليه من قبل بالرغم من كل العراقيل التي ستعترضني.

السيدة بوركمان: أوه، سوف تعيد أسلوب حياتك القديم ثانية، صدقني.

بوركمان:(يهز رأسه وينظر إليها وكأنه أكثر وعيا منها) ما من شيء جديد يحدث. فما حدث في الماضي..... لا يكرر نفسه أبدا، إنما النظرة إلى تلك الأشياء هي التي تغير الأحداث، النظرة الجديدة تغير الحدث القديم.... (يتوقف عن الكلام) ولكنك لا تفهمين.

السيدة بوركمان:(باقتضاب) لا، لا أفهم.

بوركمان: نعم، تلك هي اللعنة الحقيقية.... إنني لم أجد إطلاقا مخلوقا واحدا يفهمني .

إيللا رينتهايم: (تنظر إليه) إطلاقا يا بوركمان؟

بوركمان: ربما.. كان هناك استثناء واحدا، منذ زمن بعيد جدا جدا حيث كنت أعتقد أنني لست في حاجة لمن يفهمني. وفيما عدا ذلك ومنذ ذلك الحين لم أجد أي شخص إطلاقا. لم أجد من كان يقظا بما يكفي لينبهني ويهتف بي..... مثل دقات ساعة الصباح ..... من يساعدني كي أعمل من جديد بشجاعة..... من يجعلني أدرك أن ما من خطأ لا يمكن إصلاحه.

السيدة بوركمان: (بضحكة تحمل ازدراء) إذن، فقد كنت في حاجة لمن يؤثر عليك من الخارج.

بوركمان: (بسخط متزايد) نعم، كنت في حاجة إلى ذلك في الوقت الذي كان فيه العالم بأسره يموج ويصرخ في إزدراء وتحقير قائلا إنني لن أقف على قدمي مرة أخرى. ولأن الحال هكذا كان سيأتي وقت أصدق فيه ذلك عن نفسي. (يرفع رأسه) ومع ذلك كان ينبعث في أعماقي اقتناع بأنني سأنتصر مرة أخرى وكان في ذلك براءتي!

السيدة بوركمان:(تنظر إليه بقسوة) ولماذا لم تأتِ إلى وتطلب مني ما تسميه تفاهم؟

بوركمان: هل كان سيفيد .... لو أنني لجأت إليك؟

السيدة بوركمان: (بإشارة تنم عن الرفض) إنك لم تحب أبدا أي شخص سوى نفسك.....هذا هو جوهر الأمر.

بوركمان: (بفخر) لقد أحببت السلطة....

السيدة بوركمان: نعم، السلطة!

بوركمان:..... السلطة التي أخلق بها السعادة البشرية! في دوائر تتسع، وتتسع من حولي!

السيدة بوركمان: كانت لديك السلطة ذات يوم كي تجعلني سعيدة ، فهل استخدمتها يا ترى؟

بوركمان:(دون أن ينظر إليها) لابد أن يغرق أحد إذا غرقت السفينة....

السيدة بوركمان: وابنك! هل استخدمت سلطتك.... وكرست حياتك وكل نفس تتنفسه كي تجعله سعيدا؟

بوركمان: إنني لا أعرفه.

السيدة بوركمان: هذا حق. فأنت لا تعرفه.

بوركمان: (بحدة) هذا ما فعلتيه أنتِ..... أمه.

السيدة بوركمان: (تنظر إليه بتعبير ينم عن التعالي) أوه، إنك لا تعلم ما الذي فعلته.

بوركمان: أنتِ؟

السيدة بوركمان: نعم، أنا. أنا وحدي.

بوركمان: قولي إذن.

السيدة بوركمان: لقد تعاملت مع ما ورثناه منك.

بوركمان: (يضحك ضحكة قصيرة جافة) ما ورثتموه مني؟ ماذا!؟ يبدو الأمر كأني مُت بالفعل.

السيدة بوركمان: (مشددة) هكذا أنت بالفعل.

بوركمان: (ببطء) نعم، ربما كنتِ على صواب. (بانفعال) ولكن لا، لا! ليس بعد! لقد أوشكت على ذلك ولكنني استيقظت وتعافيت ثانية. ومازالت الحياة أمامي رحبة. وبمقدوري أن أرى هذه الحياة الجديدة المتألقة تزدهر وتنتظر. سوف ترين.

السيدة بوركمان: (ترفع يدها) لا تحلم بالحياة! فلتبق راقدا مستكينا حيث أنت.

إيللا رينتهايم: (بغضب) يا جونهيلد! يا جونهيلد! كيف يمكنك أن .....!؟

السيدة بوركمان: (دون أن تنصت إليها) أريد أن أقيم شاهدا فوق قبره.

بوركمان: تقصدين شاهد العار.

السيدة بوركمان:(بمزيد من الغضب) أوه، لا . لن يكون هناك شاهد من الحجر أو المعدن. لن يسمح لأحد أن يدون شيئا على الشاهد. ومن أفرع الأشجار والشجيرات المتشابكة سيكون هناك سياجا حول حياتك المدفونة في القبر كي يداري الأشياء المظلمة التي حدثت حتى تختفي في زوايا النسيان بأعين البشر يا يون جابريال!

بوركمان: (بصوت أجش وقاطع) وهل هذا هو العمل الذي ستقومين به باسم الحب؟

السيدة بوركمان: هذا ليس في مقدوري ولا أجرؤ على التفكير فيه إلا أنني قمت بتربية شخص سيقوم به وسوف يحيا حياة نقية سامية متألقة، حتى يطمس حياتك أنت هنا على وجه الأرض!

بوركمان: (بحزن ومتوعدا) إذا كنت تقصدين إيرهارت فقولي في الحال !

السيدة بوركمان: (تنظر في عينيه نظرة حادة) نعم إنه إيرهارت. ابني الذي تريد أن تضحي به.... كي تكفر عن خطيئتك.

بوركمان:(يلقي بنظرة على إيللا) كي أكفر عن أسود خطيئة.

السيدة بوركمان: (رافضة) خطيئة في حق شخص غريب فقط! تذكر الخطيئة التي ارتكبتها في حقي أنا! (تنظر إليهما بتعالي) ولكنه لن ينصت إليكما! عندما أصرخ وأناديه وأنا في مأزقي سيلبي النداء لأنه يريد أن يكون معي أنا! عندي أنا وليس عند أي أحد آخر.... (تنصت فجأة وتنادي) ها أنا أسمعه! ها هو ... ها هو! يا إيرهارت!

(يفتح إيرهارت الباب بقوة، ويدخل غرفة المعيشة مرتديا معطفا وقبعة على رأسه.)

إيرهارت:(شاحبا وقلقا) يا أمي...! ماذا حدث بحق السماء...!؟ (يرى بوركمان وهو يقف بجوار الباب الذي يؤدي إلى الشرفة الزجاجية التي تطل على الحديقة، يجفل ويخلع القبعة. وبعد فترة صمت يسأل) ما الذي تريدينه مني يا أمي؟ ماذا حدث!؟

السيدة بوركمان:(تمد ذراعيها نحوه) أريد أن أراك يا إيرهارت! أريدك هنا معي... دائما!

إيرهارت:(يتمتم) تريدينني معك ...؟ دائما! ماذا تقصدين؟

السيدة بوركمان: أريدك معي، أريدك معي! لأن هناك من يريد أن يأخذك مني!

إيرهارت:(يتراجع خطوة) آه.... أنتِ تعرفين إذن!

السيدة بوركمان: نعم. وهل تعرف أنت أيضا؟

إيرهارت:(يفكر، يتطلع إليها) هل أعرف؟ نعم ، بالطبع....

السيدة بوركمان: آها، إنها حيلة متفق عليها إذن! ومن وراء ظهري! يا إيرهارت، يا إيرهارت!

إيرهارت: (بسرعة) قولي لي يا أمي . ماذا تعرفين!؟

السيدة بوركمان: أعرف كل شيء. أعرف أن خالتك قد حضرت هنا لتأخذك مني.

إيرهارت: خالتي إيللا!؟

إيللا رينتهايم: أوه، اسمعني أولا يا إيرهارت !

السيدة بوركمان: (تواصل الحديث) إنها تريدني أن أتنازل لها عنك. تريد أن تكون أمك بدلا مني يا إيرهارت! تريد أن تكون ابنها هي من الآن فصاعدا وليس ابني أنا !

إيرهارت: أهذا صحيح يا خالتي إيللا؟

إيللا رينتهايم: نعم ... هذا صحيح .

إيرهارت: حتى هذه اللحظة لم أكن أعرف أي شيء عن هذا الأمر. لماذا تريدين أن أعود عندك مرة أخرى؟

إيللا رينتهايم: لأنني أشعر بأني أخسرك وأنت هنا .

السيدة بوركمان:(بقسوة) سوف تخسرينه لكي أفوز به أنا.... نعم! وهذا شيء طبيعي جدا.

إيللا رينتهايم: (تنظر إليه متوسلة) إيرهارت، لا استطيع أن أخسرك. لا بد أن تعرف أنني وحيدة..... وعلى شفا الموت.

إيرهارت: على شفا الموت...؟

إيللا رينتهايم: نعم، على شفا الموت. هل بمقدورك أن تبقى معي حتى آخر لحظة في حياتي؟ تلازمني تماما؟ وتكون بمثابة ابن لي....؟

السيدة بوركمان: (تقاطعها) وتتخلى عن أمك، وعن رسالتك في الحياة أيضا؟ هل تريد ذلك يا إيرهارت؟

إيللا رينتهايم: أنا محكوم علي بالموت. أجبني يا إيرهارت.

إيرهارت:(بعطف وبتأثر) يا خالتي إيللا.... إن طيبتك معي كانت بلا حدود. وقد عشت عندك حياة سعيدة بلا أحزان ولا أعتقد ان هناك طفلا عاش حياته ب.....

السيدة بوركمان: إيرهارت، إيرهارت!

إيللا رينتهايم: أوه، كم أنت مبارك حتى ترى ما تراه الآن!

إيرهارت: ..... ولكني لا أستطيع أن أضحي بنفسي من أجلك الآن. من المستحيل أن أكرس نفسي لأكون ابنا لك....

السيدة بوركمان:(بانتصار)آه، كنت أعرف ذلك! لن تأخذيه! لن تأخذيه يا إيللا!

إيللا رينتهايم:(بحزن) أرى ذلك. لقد استطعت الفوز به ثانية.

السيدة بوركمان: نعم، نعم..... إنه ملكي وسيظل ملكي! إيرهارت ... أليس كذلك؟.....لا يزال لدينا نحن الاثنين طريقا طويلا لنقطعه.

إيرهارت:(يصارع نفسه) أمي .....، أرى إنه من الأفضل أن أخبرك مباشرة بأن.....

السيدة بوركمان:(بشغف) بماذا؟

إيرهارت: أخشى أن الطريق الذي سأمشيه معك سيكون قصيرا يا أمي.

السيدة بوركمان: (تقف مصدومة) ماذا تعني بذلك؟

إيرهارت: (يستجمع شتات نفسه) يا الله يا أمي!.... أنا مازلت في ريعان شبابي ورغم ذلك أشعر وكأن الهواء هنا في غرفة المعيشة يخنقني.

السيدة بوركمان: هنا... عندي أنا!؟

إيرهارت: بلى، عندك أنتِ يا أمي .

إيللا رينتهايم: تعال معي إذن يا إيرهارت.

إيرهارت: أوه، يا خالتي إيللا، إن المكان عندك لن يكون أفضل حالا من هنا نهائيا. قد يختلف ولكنه لن يكون أفضل بالنسبة لي، فهناك أيضا سيكون معطرا برائحة أوراق الورد واللافندر.... وهواءه خانق مثله مثل هواء هذا المكان.

السيدة بوركمان:(بدهشة وهي تحاول أن تتماسك) أتقول أن الهواء هناك مثل الهواء هنا في غرفة معيشة أمك!؟

إيرهارت: (بنفاذ صبر) نعم، لا أعرف لفظا آخر أطلقه عليه . كل هذا الاهتمام المريض.... و التأليه.... أيا كانا، لم أعد أقوى على احتمالهما!

السيدة بوركمان: (تنظر إليه بجدية شديدة) هل نسيت ما الذي كرست حياتك من أجله يا إيرهارت؟

إيرهارت: (بغضب) لا، بل قولي بدلا من ذلك ما الذي كرستِ أنتِ حياتي من أجله ! أنتِ، إنتِ كنتِ إرادتي ولم تسمحي قط أن تكون لي إرادة. والآن لم أعد أحتمل! إنني في ريعان شبابي! تذكري ذلك يا أمي! (ينظر نظرة مهذبة نحو بوركمان تنم عن اهتمام) لن أضحي بحياتي لأكفر عن ذنوب الآخرين أيا كانوا- .

السيدة بوركمان: (بتوتر متزايد) ومن غيرك يا إيرهارت؟

إيرهارت: (مذهولا) من....؟ هل لابد أن أكون أنا الذي....؟

السيدة بوركمان: لا، لا، لا! هناك قوة خارجية سيطرت عليك ولم تعد تحت سيطرة أمك ولا حتى تحت سيطرة ... من ربتك.

إيرهارت: (بتحد شاق) إنني تحت سيطرة نفسي يا أمي! وخاضع لإرادتي أيضا!

بوركمان: (ينظر نحو إيرهارت) قد يكون وقتي قد حان أنا أيضا.

إيرهارت: (بتحفظ وبأدب محسوب) كيف....؟ ماذا تقصد يا أبي؟

السيدة بوركمان:(بازدراء) نعم، بالفعل. هذا ما أتساءل عنه أنا أيضا.

بوركمان:(يحافظ على تماسكه) اسمع يا إيرهارت، هل تود أن تنضم لأبيك؟ لا يمكن لأي إنسان أن ينهض من كبوته عبر إنسان آخر (انجيل) فمثل هذه الأشياء هي مجرد أحلام خاوية أخبروك بها هنا في هذا المكان حيث الهواء الخانق في غرفة المعيشة. إذا استطعت أن تعيش حياتك مثل القديسين فلن يفيدني ذلك .

إيرهارت:(باحترام محسوب) ما قلته صحيح .

بوركمان: إنه كذلك. ولن يفيد أن أضيع حياتي هباء في الندم. إنني حاولت طوال هذه السنوات أن أستعين بالأحلام والأمل ولكن هذه الأشياء لم تفدني لذلك قررت أن أتخلى عن الأحلام.

إيرهارت: (بانحناءة خفيفة) وأنت تريد ... ماذا يريد والدي مني الآن؟

بوركمان: أريد أن أنهض. أن أبدأ من جديد مرة أخرى فالإنسان يمكن أن يكفر عن ماضيه عبر حاضره ومستقبله فقط، العمل المتواصل الذي كان يمثل لي في شبابي الحياة كلها. والآن يا إيرهارت ... هل تود أن تنضم إلي وتساندني في حياتي الجديدة؟

السيدة بوركمان: (ترفع يدها محذرة) لا تفعل ذلك يا إيرهارت !

إيللا رينتهايم:(بحنان) لا، لا. بل افعل! أوه، ساعده يا إيرهارت!

السيدة بوركمان: وهل ستتحملين ذلك؟ أنت الوحيدة التي على شفا الموت.

إيللا رينتهايم: إن أمري لا يهم.

السيدة بوركمان: نعم ، طالما من سيأخذه منك ليس أنا .

إيللا رينتهايم: بالضبط يا جونهيلد.

بوركمان: هل تريد أن تفعل يا إيرهارت.

إيرهارت:(يعتصره الألم) يا أبي.... لا أستطيع أن أفعل ذلك الآن. إن هذا مستحيل تماما .

بوركمان: ماذا ستفعل إذن؟

إيرهارت:(بحماس) إنني في ريعان شبابي! أريد أن أستمتع بحياتي! أريد أن أعيش حياتي الخاصة.

إيللا رينتهايم: ألا تريد أن تضحي ببضعة أشهر كي تنير حياة مظلمة وخاوية يعيشها شخص آخر؟

إيرهارت: يا خالتي، إنني لا أستطيع حتى لو أردت.

إيللا رينتهايم: ولا من أجل شخص يحبك بشدة؟

إيرهارت : أقسملك يا خالتي إيللا... لن أستطيع.

السيدة بوركمان: (تنظر إليه بحدة) ولم تعد ترتبط بأمك أيضا.

إيرهارت: أمي، سأظل دائما أحبك، ولكني لا أستطيع أن أكرس حياتي لك وحدك، فهذه لا تعد حياة بالنسبة لي.

بوركمان: إذن تعال وانضم لي أنا! الحياة، الحياة يا إيرهارت هي العمل. تعال، وسنخرج سويا لنواجه الحياة!

إيرهارت:(بلطف) لا، لا أريد أن أعمل الآن! فأنا ما زلت في ريعان شبابي! ولم استوعب من قبل أنني مازلت صغير السن إلا أن هذه الحقيقة تتدفق داخلي الآن. لن أعمل الآن. أريد فقط أن احيا، أحيا، أحيا!

السيدة بوركمان: (تخرج منها صرخة متوقعة) يا إيرهارت، ... ما الذي تريد أن تحيا من أجله؟!

إيرهارت:(تلمع عيناه) من أجل السعادة يا أمي!

السيدة بوركمان: وأين تتوقع أن تجدها؟

إيرهارت: إنني وجدتها بالفعل!

السيدة بوركمان:(تصرخ) يا إيرهارت!...

(يمشي إيرهارت مهرولا ويفتح باب غرفة المعيشة)

إيرهارت:(ينادي) فاني..... الآن يمكنك الدخول!

(تظهر السيدة ويلتون عند الباب وهي ترتدي معطفا)

السيدة بوركمان:(بيدين مرفوعتين) السيدة ويلتون!....

السيدة ويلتون:(بشيء من التردد وبنظرة متسائلة توجهها لإيرهارت) أيمكنني أن....؟

إيرهارت: نعم، الآن يمكنك الدخول. لقد أخبرتهم بكل شيء .

(تقبل السيدة ويلتون وتدخل غرفة المعيشة، يغلق إيرهارت الباب خلفها. تنحني قليلا نحو بوركمان الذي انحنى لها بدوره في صمت. صمت قصير.)

السيدة ويلتون:(بصوت خافت ولكن حازم) لقد قلت كل شيء إذن . وأظن أنني أبدو بالطبع كسيدة جلبت التعاسة لهذا البيت؟

السيدة بوركمان:(ببطء وهي تنظر إليها بقسوة) لقد حطمتِ البقية الباقية مما كنت أعيش من أجله.(ثائرة) ولكن هذا.... مستحيل حتما!

السيدة ويلتون: أفهم تماما أن ذلك يبدو مستحيلا بالنسبة لكِ يا سيدة بوركمان .

السيدة بوركمان: نعم، أنت نفسك ينبغي أن تقولي أنه مستحيل، أليس كذلك....؟

السيدة ويلتون: أنا أريد أن أقول إنه مستحيل تماما ولكن هذا هو الحال رغم ذلك.

السيدة بوركمان:(تلتفت) هل أنت جاد فيما تقول يا إيرهارت؟

إيرهارت: إنها السعادة بالنسبة لي يا أمي. سعادة حياة عظيمة ورائعة. وليس من الممكن أن أقول لكِ غير ذلك.

السيدة بوركمان:(تعقد يداها، للسيدة ويلتون) أوه، كم أغويتِ وسحرتِ ابني التعس!

السيدة ويلتون: (ترفع رأسها بتفاخر) إنني لم أفعل أي شيء من هذا.

السيدة بوركمان: تقولين أنكِ لم تفعلي!

السيدة ويلتون: بلى، إنني لم أغوه ولم أسحره. إن إيرهارت جاء لي بإرادته الحرة ولقد قابلته في منتصف الطريق بإرادتي الحرة.

السيدة بوركمان:(تنظر إليها بازدراء) نعم، أنتِ، نعم! إنني مؤمنة بذلك.

السيدة ويلتون: (وهي رابطة الجأش) يا سيدة بوركمان ..... هناك قوي تُمنح لحياة الانسان ويبدو أنك لا تعرفينها.

السيدة بوركمان: وهل لي أن أسألك ما هي تلك القوي؟

السيدة ويلتون: إنها القوى التي تربط بين شخصين في الحياة ارتباطا لا يفصم وبلا حسابات.

السيدة بوركمان:(تبتسم) أظن أنكِ كنتِ مرتبطة بالفعل ارتباطا لا يفصم.... برجل آخر.

السيدة ويلتون: (باقتضاب) هذا الرجل الآخر تركني ورحل.

السيدة بوركمان: ولكنه مازال حيا كما يقولون.

السيدة ويلتون: هو ميت بالنسبة لي.

إيرهارت:(مقاطعا) نعم، يا أمي، إنه ميت بالنسبة لفاني، وهذا الرجل الآخر لا يعنيني!

السيدة بوركمان:(تنظر إليه بحدة) إذن فأنت تعرف ... أمر هذا الرجل الآخر.

إيرهارت: نعم، يا أمي. أنا أعرف كل شيء جيدا!

السيدة بوركمان: ومع ذلك تقول إنه لا يعنيك.

إيرهارت:(برفض وتحدي) كل ما أقوله لكِ فقط هو أن تلك السعادة هي ما أريد! إنني شاب! أريد أن أحيا، أحيا، أحيا!

السيدة بوركمان: نعم، أنت شاب يا إيرهارت، وصغير السن بالنسبة لكل هذا .

السيدة ويلتون:(بحزم وجدية) ينبغي ألا يتبادر إلى ذهنك يا سيدة بوركمان أنني لم أقل له كل ذلك . لقد شرحت له كل ظروف حياتي بوضوح. وكنت أذكره مرارا وتكرارا أنني أكبر منه بسبع سنوات .....

إيرهارت: (مقاطعا) أوه يا فاني! .... كنت أعرف ذلك منذ البداية.

السيدة ويلتون:....ولكن ما من شيء ... ما من شيء أثر فيه .

السيدة بوركمان: حقا؟ لم يؤثر؟ لماذا إذن لم ترفضيه تماما. لماذا لم تغلقي بابك في وجهه؟ هذا ما كان ينبغي عليكِ فعله منذ وقت طويل!

السيدة ويلتون:(تنظر إليها وتقول بصوت خافت) هذا بالضبط ما لم أستطيع أن أفعله يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان: ولماذا لم تستطيعي؟

السيدة ويلتون: لأني لن أجد سعادتي أنا أيضا سوى مع هذا الرجل.

السيدة بوركمان:(بازدراء) همم. السعادة، السعادة....

السيدة ويلتون: إنني لم أعرف من قبل معنى السعادة في الحياة. من المستحيل ان أرفض هذه السعادة حتى لو جاءت متأخرة.

السيدة بوركمان: وكم من الوقت ستدوم هذه السعادة في ظنك؟

إيرهارت: (مقاطعا) سواء طال وقتها أم قصر يا أمي..... فهذا لا يهم.

السيدة بوركمان:(بغضب) يالك من أعمى! ألا ترى إلى أين سيأخذك كل هذا؟

إيرهارت: إنني لا أعبأ بالمستقبل، ولا أريد أن أتلفت في أي اتجاه. كل ما أريده فقط أن تتركوني أعيش أنا أيضا!

السيدة بوركمان: (بألم) أتسمي تلك حياة يا إيرهارت؟!

إيرهارت: نعم، ألا ترين كم هي حياة جميلة؟!

السيدة بوركمان:(تعصر كفيها) وعلي أن أتحمل هذا العار الساحق أيضا !

بوركمان:(في الخلف، بقسوة وحزم) نعم ... لقد اعتدت تحمل تلك الأشياء يا جونهيلد!

إيللا رينتهايم:(ترجوه) يا بوركمان!....

إيرهارت:(يرجوه أيضا) أبي!.....

السيدة بوركمان: سأضطر أن أرى ابني كل يوم مع سيدة .... مع سيدة....

إيرهارت: (يقاطعها بقسوة) لن يكون عليكِ أن تري أي شيء يا أمي! اطمئني! لن أبقى هنا بعد الآن .

السيدة ويلتون:(بسرعة وبحزم) سوف نسافر يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان: (يشحب وجهها) هل ستسافران أيضا؟! سويا؟

السيدة ويلتون: (تومئ) نعم، سأسافر خارج البلاد، إلى الجنوب، وسوف أصطحب معي فتاة صغيرة وسيأتي إيرهارت معنا .

السيدة بوركمان: معكِ... وبصحبتكما فتاة صغيرة؟

السيدة ويلتون: نعم. إنها الصغيرة فريدة فولدال التي أخذتها لتعيش عندي بالبيت. إنني أريدها أن تسافر للخارج كي تدرس الموسيقى.

السيدة بوركمان: ولذا ستأخذينها معك؟

السيدة ويلتون: نعم. لا يمكنني أن أترك الفتاة الصغيرة بمفردها.

السيدة بوركمان: (تكبت ابتسامة) وما رأيك في ذلك يا إيرهارت؟

إيرهارت:(بشيء من الحرج، ويهز كتفيه مستهجنا) نعم يا أمي... طالما فاني ترغب في.....

السيدة بوركمان:(ببرود) وهل لي أن أسأل متى ستسافرون؟

السيدة ويلتون: سوف نسافر في الحال...الليلة، عربتي تنتظر هناك على الطريق.... أمام منزل عائلة هانكالز.

السيدة بوركمان:(تنظر إليها بتعالي) آها... في المكان الذي أقيم فيه حفل الليلة!

السيدة ويلتون: (مبتسمة) نعم، لم يكن فيه سوى إيرهارت وأنا والصغيرة فريدة بالطبع .

السيدة بوركمان: وأين هي الآن؟

السيدة بوركمان: إنها جالسة في العربة، تنتظرنا.

إيرهارت: (محرجا) يا أمي ..... أنت بالتأكيد تفهمين ...؟ لقد أردت أن أجنبك ... كل هذه الأمور.

السيدة بوركمان: (تنظر إليه والألم يعتصرها) أكنت ستسافر دون أن تودعني؟

إيرهارت: نعم، اعتقدت أن ذلك سيكون أفضل، أفضل لكلينا. لقد أعددت كل شيء ووضعنا الملابس في الحقيبة ولكن عندما طلبتِ أن تريني فا .....(يبسط يديه لها) وداعا يا أمي.

السيدة بوركمان:(ترفض، وتنفر منه) لا تلمسني !

إيرهارت: (بلطف)أهذا قرارك النهائي؟

السيدة بوركمان:(بقسوة) نعم.

إيرهارت: (يستدير) إذن أودعك أنت يا خالتي إيللا.

إيللا رينتهايم: (تضغط على يديه) وداعا يا إيرهارت! عش حياتك... وكن سعيدا، سعيدا... بقدر ما تستطيع!

إيرهارت: أشكرك يا خالتي . (ينحني لبوركمان) وداعا يا أبي.(يهمس للسيدة ويلتون) دعينا نرحل، كلما أسرعنا كان أفضل.

السيدة ويلتون: (بصوت منخفض) نعم، هيا بنا.

السيدة بوركمان:(بابتسامة تحمل غِلا) يا سيدة ويلتون، .... هل تعتقدين أنه من الصواب أن تصطحبي هذه البنت معك؟

السيدة ويلتون:(ترد ابتسامتها، بشيء من السخرية، وشيء من الجدية) إن الرجال يتسمون بالتقلب يا سيدة بوركمان وكذلك النساء. عندما يمل إيرهارت مني وأمل أنا منه ....سيكون من مصلحتنا أن يجد شخصا يلجأ إليه .

السيدة بوركمان: ولكن ماذا عنك أنتِ؟

السيدة ويلتون: تعلمين أنني قادرة على تدبير شئوني تماما! وداعا لكم جميعا !

(تنحني وتخرج من باب غرفة المعيشة. يقف إيرهارت لحظة كما لو كان مترددا؛ ثم يستدير ليتبعها.)

السيدة بوركمان:(تسقط يداها المعقودتان) بلا ابن.

بوركمان:(وكأنه استيقظ من ثبات) لأخرج إذن إلى العاصفة وحدي! إلي بقبعتي! ومعطفي !

(يتجه نحو الباب.)

إيللا رينتهايم:(بخوف، توقفه). إلى أين أنت ذاهب يا يون جابريال؟

بركمان: سأخرج لأخوض غمار عاصفة الحياة. أتسمعيني ؟ دعيني أذهب يا إيللا!

إيللا رينتهايم:(تمسك به) لا، لا، لن أتركك تخرج! أنت مريض، أستطيع أن أرى أنك مريض.

بوركمان: قلت لكِ دعيني أخرج!

(يفلت منها ويخرج من باب غرفة المعيشة)

إيللا رينتهايم:(عند الباب) ساعديني كي أبقيه هنا يا جونهيلد !

السيدة بوركمان: (ببرود وقسوة وهي تقف في وسط غرفة المعيشة) لن أمسك بأي أحد في هذا العالم. دعيهما يرحلان. لا أريد أن أتمسك بأي مخلوق في هذا العالم. فليتركني الجميع... الواحد تلو الآخر! بعيدا ... إلى أبعد مكان يريدونه.(فجأة تطلق صرخة حادة وتنادي) إيرهارت، لا تسافر.

(تجري ممدودة الذراعين نحو الباب. وتوقفها إيللا رينتهايم)

ستار

الفصل الرابع

(مكان مكشوف خارج مبنى المنزل الرئيسي الذي يقع جهة اليمين. وفي إحدى الزوايا يظهر جزءا من المبنى به باب المدخل وأمامه درج حجري منخفض. وفي خلفية المشهد تمتد أشجار التنوب الباسقة على منحدر حتى تصل إلى غابة صغيرة متناثرة الأشجار ناحية اليسار . العاصفة الثلجية انتهت منذ فترة إلا أن الأرض لا زالت مغطاة بطبقة كثيفة من الجليد و أشجار التنوب كذلك مثقلة بما تحمله من جليد. هواء الليل خانق والسحب تتدافع بكثافة ويلوح بين الفينة والأخرى بصيص شاحب من نور القمر.)

(يقف كل من بوركمان والسيدة بوركمان وإيللا رينتهايم على الدرج بالخارج، ويبدو على بوركمان الإعياء والتعب، ويستند خائر القوى إلى جدار المنزل، يضع على كتفيه عباءة قديمة الطراز ويمسك بإحدى يديه قبعة رمادية مصنوعة من اللباد الناعم وبالأخرى يمسك بعصا غليظة . تحمل إيللا معطفها على ذراعها، يظهر شعر السيدة بوركمان بعد أن انزلق شالها الكبير من على رأسها واستقر على رقبتها.)

إيللا رينتهايم: (تعترض طريق السيدة بوركمان) لا تذهبي وراءه يا جونهيلد !

السيدة بوركمان: (بخوف وغضب) أقول لك دعيني أمر! لا يمكنه أن يسافر ويتركني!

إيللا رينتهايم: أقول لك لا فائدة! لن تستطيعي اللحاق به أبدا .

السيدة بوركمان: دعيني أذهب يا إيللا ! سأظل أصرخ وأنادي باسمه على طوال الطريق. من المؤكد أنه سيسمع نداء أمه !

إيللا رينتهايم: لن يسمعك. من المؤكد أنه استقل العربة.....

السيدة بوركمان: لا، لا. لا يمكن أن يكون قد استقل العربة بعد!

إيللا رينتهايم: صدقيني. لقد استقل العربة منذ وقت طويل.

السيدة بوركمان:(بإحباط) استقل العربة... فهو الآن معها، معها.....معها هي!

بوركمان:(يضحك بشكل مخيف) إذن لن يسمع نداءات أمه.

السيدة بوركمان: لا.... لن يسمعها (ينصت) هُس! ما هذا؟

إيللا رينتهايم:(تنصت أيضا) يبدو أنه صليل أجراس.....

السيدة بوركمان: (بصرخة مكتوم) إنها عربتها!

إيللا رينتهايم: وربما كانت عربة شخص آخر.... .

السيدة بوركمان: لا، لا. إنها عربة السيدة ويلتون! أنا أعرف أجراسها الفضية! اسمعي! إنهم يمرون الآن علينا هنا... تحت!

إيللا رينتهايم:(بسرعة) إذا كنت تريدين أن تنادي عليه فنادي عليه الآن! ربما كان.....! ربما كان.... (يُسمع رنين الأجراس على مقربة، في الغابة) أسرعي يا جونهيلد! إنهم يمرون تحت الآن!

السيدة بوركمان: (تقف للحظة متردد ة ثم تقول ببرود وقسوة) لا ، لن أنادي عليه. دعي إيرهارت بوركمان يرحل بعيدا عني، بعيدا جدا إلى ما يسميه الحياة والسعادة .

(تتلاشى الأصوات)

إيللا رينتهايم: (بعد لحظة) الآن تلاشت أصوات الأجراس.

السيدة بوركمان: يخيل إلي كأني كنت استمع إلى أجراس جنائزية.

بوركمان: (بضحكة جافة مكتومة) أوه...ليس هناك أجراس تدق من أجلي حتى الآن!

السيدة بوركمان: ولكنها تدق لي أنا ولمن سافر وتركني .

إيللا رينتهايم:(تومئ ساهمة) من يدري قد تكون تلك الأجراس تدق لتمنحه الحياة والسعادة رغم كل شيء يا جونهيلد .

السيدة بوركمان: (تنهض بسرعة وتنظر إليها بقسوة) تقولين الحياة والسعادة!

إيللا رينتهايم: لفترة قصيرة على الأقل.

السيدة بوركمان: هل ستتحملين أن يجد.... الحياة والسعادة معها، هي؟

إيللا رينتهايم: (بدفء وحنان) أتمنى من أعماق قلبي !

السيدة بوركمان: (ببرود) إذن فلابد أن طاقة الحب لديك أوفر مني .

إيللا رينتهايم: (ساهمة) ربما تعطشين إلى الحب فهو الذي يحافظ على هذه الطاقة.

السيدة بوركمان:(تحملق فيها) إذا كان الأمر كذلك.....فقريبا سيكون لدي طاقة مثل طاقتك يا إيللا.

(تستدير وتدخل المنزل)

إيللا رينتهايم: (تقف لحظة وتنظر بقلق إلى بوركمان ثم تضع يدها بلطف على كتفه) هيا يا يون، لابد أن تدخل أنت أيضا.

بوركمان: (كأنه استيقظ من ثبات) أنا؟

إيللا رينتهايم: نعم، فلن تحتمل هواء الشتاء القارص هذا. أري أنك لن تحتمل يايون. هيا، ادخل معي، إلى حيث الدفء.

بوركمان:(بغضب) أصعد إلى تلك القاعة مرة أخرى.

إيللا رينتهايم: لا، من الأفضل أن تدخل غرفة المعيشة .

بوركمان: (ينهض غاضبا) لن أضع قدماي تحت هذا السقف مرة أخرى!

إيللا رينتهايم: إلى أين ستذهب إذن؟ في هذا الوقت المتأخر يا يون؟

بوركمان: (يرتدي قبعته) أولا وقبل كل شيء سأذهب لأرى كل كنوزي المخبأة.

إيللا رينتهايم: (تنظر إليه بقلق) أنا لا أفهمك يا يون.

بوركمان: (يضحك ضحكة يقطعها السعال) أوه، أنا لا أقصد أنها أشياء مسروقة؛ لا تخافي يا إيللا. انظري إلى ذلك الرجل هناك ! من يكون؟

(يظهر فيلهالم فولدال في زاوية أمام المنزل وهو يرتدي معطفا قديما وقبعة قديمة حافتها مطوية و يغطيهما الثلوج ويمسك بمظلة كبيرة. يمشي على الجليد بشق الأنفس وهو يعرج بقدمه اليسرى على نحو ملحوظ.)

بوركمان: يا فيلهالم! ماذا تريد مني ثانية؟

فولدال:(ينظر لأعلى) يا الله! هل تقف على الدرج يا يون جابريال؟! (ينحني) وزوجتك أيضا؟!

بوركمان: (باقتضاب) ليست زوجتي.

فولدال: أوه، عفوا. كما تريان فقد - نظارتي على الجليد..... ولكنك لا تخرج أبدا من باب البيت.

بوركمان:(بلا مبالاة وبمرح) لقد حان الوقت كي أخرج إلى الهواء الطلق. لقد مكثت ما يقرب من ثلاثة أعوام في الحبس، وخمسة أعوام في الزنزانة، وثمانية أعوام في القاعة فوق حيث....

إيللا رينتهايم:(بقلق) يا بوركمان، أرجوك أن!.....

فولدال: آخ، نعم، نعم، نعم!

بوركمان: نعم، ولكني أريد أن أعرف ماذا تريد مني.

فولدال:(لا يزال يقف أسفل الدرج) كنت أريد أن أصعد إليك يا يون جابريال. شعرت بأني لابد أن أصعد إليك في القاعة. يا الله... ! يالها من قاعة!

بوركمان: أكنت تريد أن تصعد الى المكان الذي طردتك منه؟

فولدال: أوه، يا الله! هذا لا يهم .

بوركمان: ماذا أصاب قدمك؟ أراك تعرج؟

فولدال: أه، تصور... لقد دهستني عربة.

إيللا رينتهايم: أوف !

فولدال: إنها عربة يجرها جوادين كانت مندفعة على المنحدر بسرعة كبيرة فلم أتمكن من الابتعاد عن طريقها بالسرعة كافية....

إيللا رينتهايم: فدهستك؟

فولدال: لقد دهسوني يا هانم .... يا آنسة . اقتربوا مني جدا وأطاحوا بي لدرجة إنني تدحرجت على الجليد وفقدت نظارتي كما كُسرت مظلتي.(يدعك ساقه) وكذلك أصيبت قدمي أيضا.

بوركمان: (يكتم ضحكة) هل تعرف من كان في تلك العربة يا فيلهالم؟

فولدال: لا، كيف لي أن أعرف؟ لقد كانت العربة مغلقة وستائرها منسدلة حتى أن السائق لم يتوقف لحظة عندما أطاح بي على الأرض....ولكن كل هذا لا يهم الآن.....(بانفعال) فأنا سعيد جدا!

بوركمان: سعيد؟

فولدال: نعم، لا أعرف ما ذا اسمي ذلك ولكني أظن أنـه لابد أن أسميه سعادة. ذلك لأن هناك شيئا غير عادي حدث لي! ولم أستطيع أن أفعل شيئا آخر ....سوى أن آتي إليك لتشاركني سعادتي يا يون جابريال.

بوركمان: (بضيق) فلتشركني في سعادتك إذن .

إيللا رينتهايم: ، لكن دع صديقك يدخل أولا يا بوركمان.

بوركمان:(بحدة) قلت لكِ أنني لن أدخل هذا البيت .

إيللا رينتهايم: ولكن ألم تسمع أنه دُهس!؟

بوركمان: أوه، كلنا دُهسنا ....مرة في عمرنا. وعلى المرء أن ينهض مرة أخرى ويتصرف كأن شيئا لم يحدث.

فولدال: هذه كلمات عميقة يا يون جابريال. بوسعي أن أقول لك الخبر باختصار هنا بالخارج .

بوركمان: (بمزيد من اللطف) حسن. قل يا فيلهالم.

فولدال: حسن، اسمع ! تخيل ....ما إن تركتك وعدت إلى منزلي هذا المساء.... حتى وجدت رسالة ...خمن من أرسلها؟

بوركمان: ربما كانت من الصغيرة فريدة؟

فولدال: بالضبط! تصور أنك خمنت على الفور! نعم، كانت رسالة طويلة ... طويلة جدا من فريدة. أحضرها لي أحد الخدم. هل تستطيع أن تخمن ماذا جاء بها؟

بوركمان: ربما كانت رسالة وداع لك ولأمها؟

فولدال: بالضبط! غريب أنك خمنت ذلك أيضا يا يون جابريال. لقد قالت إن السيدة ويلتون كانت في غاية اللطف معها. والآن ستسافر مع السيدة حتى تدرس الموسيقى، هكذا كتبت. كما أن السيدة ويلتون اتخذت تدابير كي يصطحب فريدة مدرس كفؤ سوف يعلمها لأن من المؤسف أن هناك أشياء مازالت لا تجيدها. أنت تفهمني بالطبع.

بوركمان: (يضحك ضحكات مكتومة) نعم، إنني أفهم كل شيء جيدا يا فيلهالم.

فولدال:(يواصل في حماس) أوه، وتخيل أنها لم تكن تعلم شيئا عن هذا السفر إلا مساء أمس. وكان ذلك في الحفل كما تعلم. هه! ومع ذلك فقد وجدت متسعا من الوقت كي تكتب لنا، وكم كانت رسالة رقيقة ودافئة كتبتها من أعماق قلبها. أؤكد لك. ولم تكن تحتوي على أي لوم لأبيها. وكانت لمسة لطيفة جدا منها أن تودعنا برسالة قبل سفرها. (يضحك) ولكن من المؤكد أنني لن أدعها تسافر بهذه الطريقة!

بوركمان:(ينظر إليه متسائلا) كيف؟

فولدال: إنها كتبت أنهم سيسافرون في الصباح الباكر، مبكرا جدا.

بوركمان: فعلا، فعلا... غدا؟ هل هكذا كتبت ؟

فولدال:(يضحك ويفرك يديه) نعم، ولكن لدي خطة مضادة. سوف أذهب الآن للسيدة ويلتون و....

بوركمان: الليلة؟

فولدال: يا الله! إن الوقت ليس متأخرا لهذا الحد، وحتى لو أغلقوا الأبواب سأدق الجرس. ليس هناك مشكلة في ذلك لأني أريد ولابد لي أن أري فريدة قبل سفرها. طاب مساؤكم

(يهم بالخروج)

بوركمان: اسمع أيها المسكين فيلهالم؛ ... لا داعي لأن تقطع كل هذا الطريق الشاق إلى منزلها .

فوالدال: أوه، أنت تقصد قدمي.....

بوركمان: نعم. كما أنك لن تتمكن على أية حال من الدخول إلى منزل السيدة ويلتون.

فولدال: لا، بالتأكيد سأدخل. وسوف أظل أدق الجرس حتى يأتي أحدهم ويفتح لي الباب، فلابد أن أرى فريدة.

إيللا رينتهايم: إن ابنتك سافرت بالفعل يا سيد فيلهالم.

فوالدال:(يقف مصدوما) هل سافرت فريدة بالفعل؟! هل أنتِ متأكدة؟ من أخبرك؟

بوركمان: أخبرنا معلمها.

فولدال: حقا؟ ومن يكون؟

بوركمان: الطالب إيرهارت بوركمان.

فولدال:(بفرحة عارمة) ابنك يا يون جابريل !؟ هل سيسافر معهما؟

بوركمان: نعم، إنه من سيساعد السيدة ويلتون في تعليم الصغيرة فريدة.

فولدال: حسن، الحمد لله! إن ابنتي بين أيد أمينة إذن، ولكن هل أنت متأكد أنها سافرت بالفعل؟

بوركمان: إنها سافرت معهما في العربة التي دهستك على الطريق.

فوالدال:(يصفق بيديه) تخيل أن صغيرتي فريدة كانت جالسة في تلك العربة الفخمة!

بوركمان:(يومئ) نعم، نعم يا فيلهالم. إن ابنتك تركب عربات فخمة الآن وكذلك الطالب بوركمان أيضا... حسن....هل لاحظت الأجراس الفضية؟

فولدال: حقا. هل قلت فضية؟ هل هي أجراس فضية؟ أجراس فضية أصلية؟

بوركمان: بالفعل هي كذلك. فكل شيء حقيقي من الخارج ومن الداخل!

فولدال:(بمشاعر فياضة) أليس غريبا أن يحظى إنسان بتلك السعادة ! إن... موهبتي المتواضعة في الشعر قد تحولت إلى الموسيقى عند فريدة. إذن شاعريتي لم تذهب هباء رغم كل شيء. والآن واتتها الفرصة كي تنطلق للعالم الخارجي الفسيح الذي حلمتُ برؤيته. وفريدة الصغيرة تسافر أيضا في عربة مغلقة على سرجها أجراس من الفضة ....

بوركمان: ودهست أباها! ....

فولدال:(مبتهجا) أوه، وماذا في ذلك!؟... أنا لا أهتم ....المهم ابنتي .....! لقد حضرت متأخرا للغاية إذن. سأعود إلى المنزل كي أواسي أمها التي تركتها تجلس باكية في المطبخ .

بوركمان: باكية؟

فولدال:(يضحك ضحكات قصيرة) نعم، تخيل... لما غادرت البيت كانت جالسة تبكي .

بوركمان: بينما تضحك أنت يا فيلهالم .

فولدال: نعم، إنني أضحك. ولكن أمها المسكينة لا تفهم. حسن، وداعا! على الأقل كان شيئا طيبا أن العربة كانت قريبة مني لهذا الحد، وداعا يا يون جابريال ... وداعا يا آنسة.

(ينحني ويمشي بمشقة من الطريق الذي أتى منه.)

بوركمان:(يقف لحظة صامتا وساهما) وداعا يا فيلهالم! لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يدهسك فيها أحد يا صديقي العجوز.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه بقلق مكبوت) إن وجهك شاحب ، شاحب جدا يا يون....

بوركمان: هذا تأثير هواء السجن فوق بالأعلى.

إيللا رينتهايم: لم أرك أبدا في مثل هذه الحالة من قبل.

بوركمان: لأنك لم تري من قبل سجينا بعد أن خرج من سجنه.

إيللا رينتهايم: أوه، هيا يا يون ادخل معي المنزل!

بوركمان: كفي عن اغوائي. قلت لكِ إني....

إيللا رينتهايم: لكنني أتوسل إليك؟ من أجلك أنت....

(تخرج الخادمة وتقف عند الدرج.)

الخادمة: معذرة، فالسيدة أمرتني بغلق الباب الخارجي الآن.

بوركمان: (بصوت أخفت لإيللا) أسمعتِ؟ يريدون الآن أن يغلقوا علي الأبواب ثانية!

إيللا رينتهايم:(للخادمة) إن مدير البنك متعب قليلا ويريد أن يستنشق الهواء النقي أولا.

الخادمة: نعم، لكن السيدة قالت لي أن.....

إيللا رينتهايم: سأغلق أنا الباب. عليكِ فقط أن تتركي المفتاح في الباب وأنا.....

الخادمة: أه، بالطبع. سأفعل ذلك إذن .

(تدخل المنزل ثانية)

بوركمان:(يقف صامتا برهة وينصت وينزل بسرعة إلى الفضاء المفتوح) ها أنذا خارج السور الآن يا إيللا ! الآن لن يستطيعوا أبدا الإمساك بي ثانية !

إيللا رينتهايم:(تنزل إليه) ولكنك رجل حر هناك بالداخل أيضا يا يون. يمكنك الدخول والخروج وقتما تشاء.

بوركمان:(بصوت منخفض وكأن الرعب أصابه) أبدا لن أتواجد تحت هذا السقف مرة أخرى! الليل هنا في العراء أفضل بكثير منه بالداخل. لو صعدت إلى القاعة فوق الآن.... لانْطَبَقَتْ علي الأسقف والجدران كلها وسحقتني ... كالذبابة.....

إيللا رينتهايم: ولكن إلى أين ستذهب؟

بوركمان: أريد أن أسير، وأسير، وأسير. سوف أحاول أن أصل ثانية إلى الحرية والحياة والبشر، هل تسيرين معي يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: أنا؟ الآن؟

بوركمان: نعم، نعم.... حالا!

إيللا رينتهايم: ولكن إلى أي مدى؟

بوركمان: إلى أقصى ما أستطيع.

إيللا رينتهايم: نعم، لكن راجع نفسك، ففي هذا العراء، وفي هذه الليلة الباردة في هذا الشتاء القارص....

بوركمان:(بصوت أجش) أوه... إن الآنسة قلقة على صحتها؟ طبعا، طبعا ... لأن صحتها ضعيفة.

إيللا رينتهايم: بل إنني قلقة على صحتك أنت.

بوركمان: هاهاها! صحة رجل ميت! أنني أسخر منك يا إيللا !

)يواصل السير (

إيللا رينتهايم:(تتبعه وتمسك بيده) ماذا قلت؟ أنت رجل ماذا؟

بوركمان: قلت أنا رجل ميت. ألا تتذكرين أن جونهيلد قالت لي: ابق مستكينا حيث أنت؟

إيللا رينتهايم: (بعزم، وترتدي معطفها) سأسير معك يا يون.

بوركمان: نعم فنحن الاثنان ينتمي كل منا للآخر يا إيللا. هيا بنا!

(بعد قليل يصلان إلى الغابة، جهة اليسار. ويختفيان رويدا رويدا داخل الغابة حتى يغيبا عن الأنظار . يختفي المنزل والفضاء المفتوح. ويتغير المنظر الطبيعي الذي يتشكل من المنحدرات التي يكسوها أشجار ويتغير المشهد ببطء ويصبح بريا أكثر فأكثر.)

يسمع صوت إيللا رينتهايم يسمع في الغابة، جهة اليمين: إلى أين نحن ذاهبان يا يون؟ أنا لا أعرف الطريق هنا.

يتصاعد صوت بوركمان: عليك أن تتبعيني فقط!

صوت إيللا رينتهايم: ولكن لماذا ينبغي أن نصعد عاليا جدا هكذا؟

صوت السيد بوركمان: لابد أن نصعد حتى منعطف الممشى.

صوت إيللا رينتهايم:(مازالت مختفية عن الأنظار) أوه، لم أعد أحتمل الاستمرار أكثر من ذلك.

بوركمان:(في الغابة ، جهة اليمين) هيا، هيا! لسنا بعدين عن الواجهة المطلة على المشهد. في الماضي كان هناك مقعد خشبي.

إيللا رينتهايم:(تخرج من بين لأشجار) هل تتذكره؟

بوركمان: يمكنك أن تستريحي هناك.

(يصعدان فوق تبة عالية عريضة في الغابة وإلى الخلف منهما الجبل. وإلى اليسار، بعيدا في الأسفل، هناك الفيورد الممتد إلى الوراء ، مع سلاسل جبال عالية تمتد على المدى البعيد. ويغطي التبة، إلى اليسار، جليد متراكم وفوقها شجرة تنوب ذابلة وتحتها مقعد.)

(يدخل كل من بوركمان وإيللا رينتهايم من اليمين وهما يجتازان الجليد بصعوبة.) .

بوركمان :(يقف عند حافة المنحدر جهة اليسار) تعال يا إيللا، سأريكِ.

إيللا رينتهايم:(تتوجه إليه) ماذا تريد أن تريني يا يون؟

بوركمان:(يشير للخارج) هل ترين كيف تترامى أرض البلد حرة مكشوفة أمامنا .... واسعة عريضة في الأفق؟

إيللا رينتهايم: وعلى هذا المقعد كم جلسنا في الماضي.... وكنا ننظر إلى أبعد مدى، إلى أبعد ما يمكن.

بوركمان: كانت أرض الأحلام في ذاك الوقت.

إيللا رينتهايم: (تومئ بحزن) نعم، كانت أرض أحلام حياتنا، والآن قد غطتها الثلوج ....وماتت الشجرة العجوز.

بوركمان:(دون أن ينصت إليها) هل تستطيعين أن تري الدخان المتصاعد من السفن هناك في الفيورد.؟

إيللا رينتهايم: لا.

بوركمان: أنا أستطيع..... أنا أراها وهي تروج وتجيء وتنشر التعارف بين أرجاء العالم، وتبث النور و الدفء في أرواح البشر في آلاف البيوت. وهذا ما كنت أحلم ببنائه.

إيللا رينتهايم:(بهدوء) ولكنه ظل حلما.

بوركمان: نعم، إنه ظل حلما (ينصت) والآن انصتي إلى الصوت هناك حيث يجري النهر !إنها مصانع تعمل هناك تحتنا بالأسفل! مصانعي! كل تلك المصانع التي كنت سأبنيها! انصتي! انصتي إلى دويها. إنها مناوبة الليل . إنهم يعملون ليل نهار. انصتي. انصتي. انصتي ! العجلات تدور والتروس تومض..... إنها تدور وتدور! ألا تسمعينها، يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: لا.

بوركمان: أنا أسمعها .

إيللا رينتهايم:(بقلق) أظن أنك مخطئا يا يون.

بوركمان:(بحماس متزايد) أوه، ولكن كل هذا.... كل هذا لا يعدو سوى تحصينات حول المملكة. لابد أن تعرفي ذلك !

إيللا رينتهايم: أتقول مملكة؟ أية مملكة....؟

بوركمان: مملكتي بالطبع! المملكة التي كنت سأحكمها قبل... أن أموت.

إيللا رينتهايم:(ترتجف وبصوت أخفت)أوه، يا يون. يا يون!

بوركمان: والآن ها هي هناك معزولة بلا حاكم، مهجورة وعرضة للسلب والنهب. هل ترين يا إيللا سلاسل الجبال الممتدة في الأفق البعيد؟ جبل وراء جبل إنها تحلق عاليا. تلك هي مملكتي الأبدية السرمدية!

إيللا رينتهايم: ولكن ها هي نسمات جليدية تهب من تلك المملكة يا يون !

بوركمان :هذه النسمات بالنسبة لي كأنها أنفاس الحياة. هذه النسمات ، كأنها تحية من أرواح خاضعة ، وكأني ألمس الملايين من الأرواح وأشعر بعروق المعادن تمد نحوي أذرعها التي تتلوى وتتفرع وتغريني . إنني رأيتها أمامي وكأنها أطياف أشباح بعثت إلى الحياة.... في تلك الليلة التي وقفت فيها داخل خزانة البنك بالبدروم وأنا أحمل في يدي مصباحي. إنكِ ، أيتها المعادن، كنتِ تهيبين بي كي أطلق صراحك وأفك أسرك. لقد حاولت وفشلت، وغاص الكنز ثانية في الأعماق السحيقة.(يبسط يديه) إلا أنني سوف أهمس لك بهذا هنا في سكون الليل: أنا أحبك أيتها المذهلة حيث ترقدين في الأعماق وفي الظلام! وأحبك أيتها الكنوز التي تشتهي وتتمنى أن ترى الحياة بكل ما تستطيع أن تجلبه في قطارها من نعيم وقوة ومجد. أحبك.... أحبك...أحبك.

إيللا رينتهايم:(في هياج مكبوت ولكنه متزايد) نعم، إن حبك لا يزال هناك بالأسفل يا يون. كان دائما يمتد بجذوره هناك، أما هنا في وضح النهار لقد كان أمامك قلب بشري دافئ ينبض بالحياة ويخفق بحبك. هذا القلب قمت بسحقه. أوه، بل أسوأ من السحق! أسوأ من ذلك أضعافا مضاعفة. أنت بعته من أجل ...من أجل ...

بوركمان: (يهز رأسه وهو يرتعد) من أجل المملكة... من أجل السلطة... من أجل المجد... أهذا ما تقصدين؟

إيللا رينتهايم: بلى، هذا ما أقصده. لقد قلتها لك هذه الليلة. إنك قتلت القدرة على الحب داخل المرأة التي أحبتك والتي كنت تبادلها الحب إذا كنت تستطيع أن تحب أي أحد. (ترفع ذراعيها) وها هي نبوءتي لك يا يون: لن تنال أبدا ثمن الجريمة التي ارتكبتها. لن تسير أبدا في موكب النصر نحو مملكتك الباردة المظلمة .

بوركمان:(يمشي مترنحا إلى المقعد ويجلس بصعوبة) أخشي أن تكوني محقة في نبوءتك يا إيللا.

إيللا رينتهايم:(تتجه إليه) لا تخف يا يون، فهذا بالضبط هو أفضل شيء يمكن أن يحدث لك.

بوركمان: (تنبعث منه صرخة ويمسك بصدره) آه...! (بضعف) الآن حانت النهاية.

إيللا رينتهايم:(تهزه) ماذا حدث يا يون؟!

بوركمان: (ينزلق في المقعد) قبضة جليدية أمسكت بقلبي.

إيللا رينتهايم: يون! هل تشعر بتلك القبضة الجليدية الآن ؟

بوركمان: (يتمتم) لا ....إنها ليست قبضة جليدية... إنها قبضة معدنية.

)ينزلق في المقعد (

إيللا رينتهايم:(تخلع معطفها وتلقي بها عليه) أرقد مستكينا حيث أنت! سأذهب كي أطلب النجدة .

(تخطو بضع خطوات إلى اليمين ثم تتوقف وتعود إيه وتتحسس نبضه وتلمس وجهه (.

إيللا رينتهايم:(برقة وثبات) حسن، هذا أفضل لك يا يون بوركمان. الأفضل لك أنت.

) تلفه بالمعطف وتركع على الجليد أمام المقعد. صمت قصير.)

(تقبل السيدة بوركمان وهي ترتدي معطفها عبر الغابة، جهة اليمين، والخادمة تسبقها حاملة مصباح.)

الخادمة: (تلقي بالضوء على الجليد) انظري، انظري، يا سيدتي. هذه آثار أقدامهما...

السيدة بوركمان:(تمعن النظر فيما حولها) نعم ، ها هم هناك. إنهما يجلسان على المقعد هناك. (تهتف) إيللا!

إيللا رينتهايم:(تنهض) هل تبحثين عنا؟

السيدة بوركمان:(بجفاء) نعم، اضطررت إلى ذلك.

إيللا رينتهايم:(تشير) ها هو ذا يرقد نائما.

السيدة بوركمان: نائم؟

إيللا رينتهايم: (تومئ) نوما طويلا عميقا على ما أعتقد.

السيدة بوركمان: (بانفعال) إيللا! (تتماسك وتسأل بصوت أخفت) هل حدث هذا..... بمحض إرادته؟

إيللا رينتهايم: لا.

السيدة بوركمان:(تتنهد براحة) إذن فهذا لم يحدث بمحض إرادته.

إيللا رينتهايم: لا. كانت قبضة معدنية أمسكت بقلبه.

السيدة بوركمان:(للخادمة) اذهبي واطلبي النجدة. احضري من في المزرعة.

الخادمة: حسن يا سيدتي. (بصوت منخفض) يا ربي...

(تخرج من الغابة ، جهة اليمين.)

السيدة بوركمان:(تقف بجوار المقعد) إذن فقد قتلته نسائم الليل...

إيللا رينتهايم: على ما يبدو.

السيدة بوركمان:.. هو، هذا الرجل القوي.

إيللا رينتهايم: (تتقدم وتقف بجوار المقعد) ألا تلقين نظرة عليه يا جونهيلد؟

السيدة بوركمان: (باستهجان) لا، لا ، لا. (بصوت أخفت) كان ابن عامل من عمال المناجم.... كان مدير بنك. لم يقو على احتمال الهواء الطلق.

إيللا رينتهايم: لا، إن البرودة على الأرجح هي التي قتلته.

إيللا رينتهايم:(تهز رأسها) تقولين البرودة؟ هذه البرودة... كانت ستقتله منذ زمن.

إيللا رينتهايم:(تومئ لها) وحولت كل منا إلى شبح.

السيدة بوركمان: أنتِ على حق.

إيللا رينتهايم:(بابتسامة تنم عن ألم) رجل ميت وشبحان ...هذا ما فعلته البرودة.

السيدة بوركمان: نعم، برودة القلب... والآن أظن أننا يمكن نتصافح يا إيللا.

إيللا رينتهايم: أظن يمكننا الآن.

السيدة بوركمان: نحن الشقيقتين التوأمتين.... نتصافح فوق جثة الرجل الذي أحببناه نحن الاثنتين .

إيللا رينتهايم: نحن الشبحين ... فوق جثة رجل ميت.

(تقف السيدة بوركمان خلف المقعد الطويل بينما تقف إيللا رينتهايم أمامها و تمسك كل واحدة بيد الأخرى.)

ستار النهاية